



سلسلة تراث الأزهرين

الزبدة الرائقة

في شرح البردة الفائقة

بردة الإمام البوصيري، بشرح شيخ الإسلام القاضي
زكريا الأنصاري

مع نص البردة بخط شيخ الخطاطين في زمانه
ابن الصائغ القاهري

تقديم وتحقيق

الدكتور/ عطية مصطفى
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

كتيبة



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الناشر

١- سلسلة «تراث الأزهريين»

يشهد التاريخ على أن الاعتناء بتراث الأسلاف دليل على حكمة الأمم والشعوب، فالأمم التي تحرص على تراث أسلافها، مستلهمة ما فيه من إيجابيات، تعينها على الماضي قنما في معترك الحياة، ومعتبرة بما فيه من هفوات، تضعها نصب عينيها كي لا تنزل بها الأقدام، هي أمم رشيدة عالية الهمة.

وقد احتفت أممتنا الإسلامية العربية -عبر مختلف عصورها- بتراثها أيما احتفاء، فاعتنى كل جيل بتراث الأجيال التي سبقتها، واتخذ ذلك الاعتناء مختلف الصور والأشكال، دراسة وتكريسا، ومعارضة ونقدا، وشرحا ونظما، ورواية وإجازة، وتحقيقا ونشرا، إلى غير ذلك من صور الاعتناء والاحتفاء بكنوز ونفائس تراثنا الإسلامي العربي.

وعلى هذا الدرب المبارك تواصل «كشيدة»^(١) للنشر والتوزيع مسيرة نشر الأعمال التراثية، وهي المسيرة التي بدأتها أوائل العام الماضي (١٤٣٢ هـ) بسلسلة «تراث الأزهريين» التي لاقت من القبول والاستحسان ما يجعلنا نحمد الله عز وجل أن يسر لنا سلوك هذا الدرب.

(١) كلمة «كشيدة» هي من المصطلحات المستعملة في فنون الخط العربي، وتعني الصلة أو الرابطة أو الامتداد، وهي كلمة فارسية الأصل.



الزبدة الراقدة شرح البردة الفائقة

إن سلسلة «تراث الأزهريين» والتي تُعنى بنشر الأعمال البارزة لشيخ الأزهر وعلمائه، تهدفُ على وجه الخصوص إلى ما يلي:

١- الإسهام في إعادة الاعتبار إلى تلك المؤسسة الإسلامية العريقة، وبيان علو شأنها وشأن علمائها وشيوخها، وذلك من خلال تعريف القارئ والمتقف العربي بأعلام علماء وشيوخ الأزهر، وبما قنموه للإسلام والبشرية من نتائج فكري يُمثل الصورة الحقيقية الناصعة للإسلام، بسماحته وشموليته وموافقته للفطرة البشرية.

٢- تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة التي انتشرت في عصرنا الحاضر نتيجة تهميش دور الأزهر وعلمائه في حياتنا المعاصرة، وذلك من خلال نشر الفهم السليم لحقائق الإسلام، كما تلقاه علماء الأزهر شيخاً عن شيخ في سلسلة مُباركة من السند تمتد حتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلفنا الصالح.

٣- التأكيد على أهمية منهجية التلقي والإجازة، تلقي التلميذ عن الشيخ وإجازة الشيخ للتلميذ، في انتقال الفهم الصحيح للإسلام من جيل إلى جيل، وهي المنهجية المتبعة في الأزهر، والتي أفرزت أجيالاً من العلماء أثرت المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم في شتى علوم الإسلام.

إن كثيراً مما نعيشه في واقعنا المعاصر من خلط وتخط في المفاهيم الدينية يرجع إلى تخطي قطاع عريض من المتصدين للدعوة عن هذه المنهجية، فأضروا أكثر مما نفعوا. أما علماء الأزهر فقد توارثوا علمهم، وتشكلت ملكاتهم الفقهية على أسس سليمة متوارثة عن سلفنا الصالح، مما يجعل تراثهم انعكاساً صادقاً للفهم الصحيح للإسلام.

التعريف بمسئلة تراث الأزهريين

إن هذه المنهجية العلمية المباركة هي التي جعلت الأزهر الشريف قلعة من أعظم قلاع الإسلام، ولتجئ إليها المسلمون من شتى بقاع الأرض طلباً للسلامة في فهم الدين.

يقول الإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود عن الأزهر ودوره ورسالته:

«عمل الأزهر هو تبليغ الرسالة الإسلامية، وتبليغ الرسالة الإسلامية هو أرفع منزلة وأشرف وظيفة لأنها رسالة الأنبياء ...

وقد انتشر أبناؤه في ربوع الأمة الإسلامية كالنجوم، روّاداً يحملون العلم إلى كل ضيق بعيد، فوسّع الله بهم رقعة الثقافة الإسلامية، وأثار بجهودهم آفاقاً أضاعوها بسنا الحنيفية السمحاء ...

وقد عرف التاريخ أن رجال الأزهر وقد حملوا هذه الأمانة، رسالة الإسلام طوال ألف عام، هم سدنة قلعة، وحماة عرين، وجند حصن، تنبعت منهم الصيحة الحقيقية المومنة التي تظهر الإسلام على حقيقته، وتعرضه عرضاً ذاتياً من مبادئه وجوهره الأصيل ...

فحفظ الأزهر بذلك رسالته، وحقق وظيفته، فبات مؤكداً عند التاريخ والأمة أن الأزهر هو الأمين على هذا الدين، والمدافع عن ذاتيته، والساكن لكرامة شريعته.

ولقد عتد الله القلوب على محبته، وعلم الشعوب التوجه إليه، وأذهب عن أهله الحزن، وبارك فيه وإن تقلبت به الشئون»^(١).

(١) من مقدمة فضيلته للطبعة الأولى لكتاب (الأزهر في ألف عام) للدكتور أحمد محمد عوف.

ويقول فضيلة الشيخ صالح الجعفري رضي الله عنه:

«الأزهر هو الأزهر؛ شرع إلهي وميراث محمدي، محفوظ بحفظ ما فيه، لأنه حوى القرآن وما فيه من فنون ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)،

ترقى فوقه روح صاحب السنة، إذ فيه سئلته النبوية وعلماء أمتة، الذين هم وريثته وخلفاؤه، فهو مكان نظر الله تعالى وعنايته، وموضع الذين استشهد بهم على وحدانيته ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^(٢) ...

وجعل الله الأزهر موضع التفقه في الدين، وإليه الهجرة والثقرة، وبه الإنذار للشعوب والأمم، فهو أزهر الأمة المحمدية على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ﴿فَلَوْلَا نَقَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣)، وهو مكان لزيادة العلم التي أرشد الله تعالى إليها نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٤)، وهو مكان الحسنى وزيادة ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾^(٥)، فالحسنى هي العلم، والزيادة هي الزيادة منه والتفقه فيه والتبحر في معانيه ...

ولا يخلو شعب من الشعوب إلا وفيه أشباله أسود، عمائمهم تيجانهم، وعدتهم إيمانهم، وما من خير إلا وهم قاداته والداعون إليه، ففي الجهاد هم السابقون، وفي الآراء هم المفكرون، ارتضاهم الله حملة لدينه، وأئمة لعباده، ومرشدين لخلقهم، فهم مصابيح الأمم، وأقمار الشعوب، وبهم إصلاح المجتمع

...

(١) سورة الحجر - آية ٩

(٢) سورة آل عمران - آية ١٨

(٣) سورة التوبة - آية ١٢٢

(٤) سورة طه - الآية ١١٤

(٥) سورة يونس - الآية ٢٦

لا يضل شعبٌ وفيه منهم عالم، فهم الزائرون على المنابر، وهم الخطباء في النوادي والكاتبون في الصحف والمجلات. أقوالهم كالأسينة تقطع كل قول ضال، وتزجر كل منافق، وتهدي كل حائر، وتبين الغوامض من الأمور، والمشكلات من المسائل»^(١).

وفي تحية الأزهر، يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

قَمَ فِي قَمِ الدُّنْيَا وَحَيَّ الْأَزْهَرَ
وَانْثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَ
وَاجْعَلْ مَكَانَ الدُّرِّ إِنْ فَصَلْتَهُ
فِي مَدْحِهِ خَرَزَ السَّمَاءِ النُّجُورَا
وَانْكُرْهُ بَعْدَ الْمَسْجِدِينَ مُعْظَمَا
لِمَسْجِدِ اللَّهِ الثَّلَاثِ مُكَيَّرَا
وَاحْشُخْ مَلِيًّا وَقَضِ حَقَّ أُنْمَةٍ
ظَلَعُوا بِهِ زَهْرًا وَمَسَاجِدًا أَبْحَرَا
كَانُوا أَجَلَّ مِنَ الْمُلُوكِ جَلَالَةً
وَأَعَزَّ سُلْطَانًا وَأَفْخَمَ مَنْظَرَا

إن ما خلفه علماء الأزهر وشيوخه من تراث فكري يتمثل في الآلاف من الكتب والرسائل والفتاوى، في شتى علوم الدين، هو أعظم وأكبر من أن تحيط به سلسلة من المطبوعات مهما كان حجمها.

(١) كلمة موجزة عن الأزهر - مقدمة كتاب (منبر الأزهر) يترجم عن نعمة الله على آل جعفر).

لذلك فإن سلسلة «تراث الأزهريين»، لا تستهدف استقصاء تلك التراث الثري الخصب بقدر ما تستهدف التعريف بنماذج متنوعة منه، بما يتيح تحقيق ما ترجوه هذه السلسلة من الأهداف آنفة الذكر.

وفي هذه السلسلة وفي غيرها من إصدارات التراث، نلتزم «كشيدة للنشر والتوزيع» بملهجية نشر مسئولة، تستهدف خدمة النص وتسهيل قراءته وتعظيم الاستفادة منه، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: توثيق المخطوطة:

لم تطبع هذه الرسالة حتى الآن على حد علمنا، وقد اعتمدنا في إخراجها على مخطوطتين محفوظتين في مكتبة الأزهر الشريف، تحمل المخطوطة الأولى منها رقم ٧٦٤ع، ويشير تاريخ نسخها إلى الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١١٥٥ هـ، أما المخطوطة الثانية فتحمل رقم ٥٨٤٤ع، ويشير تاريخ نسخها إلى السادس عشر من رمضان سنة ١٠٩٤ هـ.

ثانياً: تقديم النص:

١- التعريف بمؤلفه شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري الشافعي، وقد اعتمدنا بصورة أساسية في التعريف بفضيلته على ترجمته الواردة على الموقع الإلكتروني لدار الإفتاء المصرية.

٢- التعريف بناظم البردة الإمام البوصيري، وقد اعتمدنا في التعريف به على ما ورد من أخبار عنه في العديد من المصادر مثل «الأعلام» للزركلي، و«حسن المحاضرة» للسيوطي، وغيرها.

٣- مقدمة عن المديح النبوي وفضله، ومديح الأولين لرسول الله صلى الله



التعريف بسلسلة تراث الأزهريين

عليه وآله وسلم، ثم مكانة البردة بين قصائد المديح، وتفاعل المسلمين معها في مختلف العصور، وأثرها في الشعر العربي.

ثالثاً: التخريج والتعليق:

١- تخريج أي الذكر الحكيم، وتخريج حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أمكن التخريج. وقد كان العلامة القاضي زكريا الأنصاري يخرج أحياناً بعض الأحاديث أثناء الشرح، فقمنا بإثبات تخرجات فضيلته في الهوامش مميزة بخط تحتني.

٢- توضيح ما يرد في النص من كلمات أو إشارات غامضة، قد يستعصي فهمها.

رابعاً: العناية بالإخراج الطباعي:

١- العناية بضبط الكلمات وإضافة علامات الترقيم، بما يتيح صحة وسهولة قراءة النص.

٢- تنسيق العناوين ومواضع النص ذات الأهمية الخاصة بصورة مختلفة عن تنسيق متن النص، بما يتيح سهولة التعرف عليها، وقد أشتمل شرح الشيخ الأنصاري على الكثير من الإشارات اللغوية، التي قمنا بإثباتها بخط رمادي أصغر قليلاً من بقية النص، بما يتيح للقارئ الذي يريد التعرف بصورة أولية على معاني الآيات أن يتجاوز تلك الإشارات في قراءته الأولى للنص.

خامساً: التقسيم والفهارس:

١- العناية بتقسيم النص إلى فقرات تعكس ما فيه من أفكار رئيسية، وترقيم أو عنونة تلك الفقرات أحياناً بما يتيح الرجوع إليها.

إن «كشيدة للنشر والتوزيع» وهي تُقدم هذه السلسلة، سلسلة تراث الأزهريين، لتتوجه إلى الله عز وجل بأن يتقبل هذا العمل، وأن يُهيئَ له من القبول لدى القارئ ما يليقُ بمكانة الأزهر وعلمائه، وأن يُعين على نشر المزيد من تراث علماء الأزهر الأجلاء.

٢- التعريف بشارح النردة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري^(١)

اسمه ونشأته:

هو الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي، نمية إلى سنيكة من قرى محافظة الشرقية بمصر، الأزهرى، الشافعي. ولد ببلده سنيكة سنة ٨٢٤ هـ تقريبا (الموافق ١٤٢١ م).

نشأ الشيخ -رحمه الله- في بلده سنيكة، فابتدأ بحفظ القرآن ومبادئ الفقه ثم توجه إلى الجامع الأزهر سنة (٨٤١ هـ) فحفظ المتون كالمنهاج والألفية والشاطبية وبعض التسهيل وشرط ألفية الحديث وغيرها، ثم لم يلبث أن رجع إلى بلدته فمكث بها مدة، ثم عاود القدوم إلى الأزهر فدرس العلوم كلها وتوسع فيها.

شيوخه:

أحد شيخ الإسلام زكريا على عدد كبير من الشيوخ نذكر منهم:

١- الإمام الرحلة زين الدين أبو النعمان رمسوان بن محمد بن يوسف العقبى، الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) قرأ عليه القرآن كله بعزاءات الأئمة السبعة، كما

(١) ترجمة المؤلف مستقاة بتصرف من ترجمته المنشورة على الموقع الإلكتروني لدار إفتاء المصرية.

قرأ عليه الشاطبية والرائقة، وسمع عليه جزءاً من التيسير للداني، ومسند الإمام الشافعي، وصحيح مسلم، والسند الصغرى للنسائي، وسمع عليه شرح معاني الآثار للطحاوي وآداب البحث، وشرح الألفية للعراقي.

٢- الإمام المقرئ نور الدين علي بن محمد بن الإمام فخر الدين عثمان ابن عبد الرحمن بن عثمان المخزومي البليسي ثم القاهري الشافعي والمعروف بإمام الأزهر (٧٩٩-٨٦٤ هـ) قرأ عليه بالسبعة كذلك.

٣- شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفصل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل، المصري المشهور بابن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ) أخذ عنه الحديث، وقرأ عليه السيرة النبوية لابن سيد الناس، وشرح الألفية للعراقي وأكثر صحيح البخاري وسنن ابن ماجه حيث مات ابن حجر قبل إكماله، وسمع عليه أشياء كثيرة في العربية، والأدب، والأصول، والمقولات، وكتب له في بعض إجازاته: لو أدنت له أن يقرأ القرآن على الوجه الذي تلقاه، ويقدّر الفقه على النمط الذي نص عليه الإمام وارتضاه، والله المسؤول أن يجعلني وإياه، ممن يرجوه ويخشاه إلى أن تلقاه.

٥- زين الدين أبو ذرّ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الزركشي القاهري الحنبلي، المتفرد برواية «صحيح مسلم» بعلو (ت ٨٤٦ هـ)، أخذ عنه «صحيح مسلم».

٦- شرف الدين أبو الفتح محمد بن زين الدين أبي بكر بن الحسين القرشي العثماني المراغي القاهري الأصل المديني الشافعي (ت ٨٥٩ هـ). قرأ عليه في الحديث، والفقه، وغيرهما لما ورد المدينة في طريق حجه.

٧- جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المحلي الأصل القاهري الشافعي (ت ٨٦٤ هـ).

التعريف بالشارح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري

٨- العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن رجب بن طنبغا القاهري الشافعي المعروف بابن المجدي (ت ٨٥٠ هـ)، أخذ عنه الفقه، والنحو، وعلم الهيئة، والهندسة، والميقات، والفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة.

٩- القاضي عز الدين عبد الرحيم بن المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم المصري الحنفي، المعروف بابن الغرات (ت ٨٥١ هـ)، سمع عليه العديد من كتب الحديث.

١٠- العلامة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام مراج الدين عمر بن رسلان البلقيني القاهري (ت ٨٦٨ هـ).

١١- الشيخ برهان الدين أبي إسحاق الصالحى قرأ عليه كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» للووي.

١٢- الإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد الحنفي المعروف بالكمال بن لهما (ت ٨٦١ هـ).

كما أخذ طريق التصوف والذكر عن العديد من العلماء، وأذن له جماعة من شيوخه وغيرهم بالتدريس والإفتاء، وأجازته خلافتهم يزيدون على مائة وخمسين نفساً ذكرهم في ثبته^(١).

صفاته وأخلاقه:

كان شيخ الإسلام زكريا مضرب المثل في حسن الخلق، رجاءاً إلى الخير، متقافاً للمعروف ولو من الأدنى، متصفاً لمن حوله ولو صغيراً، غير متكثر بالعلوم والمشخة، صابغاً لأوقاته غير مضيع لعمره، سليماً من العوارض والعواطل، وكان رضي الله تعالى عنه - غاية في الانهماك في

(١) التثبت هو الصحوة بقيت فيها الأكلة، وتثبت المحدث: ما يجمع فيه مرويته واسماء شيوخه.

طلب العلم، بارعاً في سائر العلوم الشرعية وآلاتها حديثاً، وتفسيراً، وفقهاً، وأصولاً، وعربية، وأدباً، ومعقلاً، ومفقلاً، فأقبلت عليه الطلبة للاشتغال عليه، وعُمر حتى رأى تلاميذه وتلاميذ تلاميذه شيوخ الإسلام، وقرت عينه بهم في محافل العلم ومجالس الأحكام، وقصد بالرحلة إليه من الحجاز والشام.

وقد عدّه جملة من العلماء المجتهد على رأس القرن التاسع لشهرة الانتفاع به وتصنيفه. قال السيوطي: «لزم الجد والاجتهاد في القلم والعلم والعمل، وأقبل على نفع الناس إقراءً وفتاءً وتصنيفاً مع الدين المتين، وترك ما لا يعنيه، وشدة التواضع وليس الجانب، وصبط اللسان والسكوت».

وقال ابن حجر الهيتمي في كلامه عن شيوخه: «وقدّمت شيخنا زكريا لأنه أجل من وقع عليه بصري من العلماء العاملين والأئمة الوارثين، وأعلى من عنه رويت من الفقهاء والحكماء المسندين، فهو عمدة العلماء الأعلام، وحجة الله على الأنام، حامل نواء مذهب الشافعي على كاهله، ومحرر مشكلاته وكاشف عريصاته في بكرته وأصائله، ملحق الأجداد بالأجداد، المنفرد في زمانه بعلو الإسناد، كيف ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط متعددة، بل وقع لبعضهم أنه أخذ عنه مشافهة تارة، وعن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة أخرى، وهذا لا نظير له في أحد من عصره، فنعلم هذا التميز الذي هو عند الأئمة أولى وأحرى؛ لأنه حاز به سعة التلامذة والأتباع، وكثرة الأخذين عنه ودوام الانتفاع».

وكان الشيخ مع ما كان عليه من الاجتهاد في العلم اشتغالا، وفتاءً، وتصنيفاً، ومع ما كان عليه من مباشرة القضاء، ومهمات الأمور، وكثرة إقبال الدنيا؛ لا يكاد يفتر عن الطاعة ليلاً ونهاراً، ولا يشتغل بما لا يعنيه، يصلي النوافل من قيام مع كبر سنه ويلبغسه مائة سنة وأكثر، ويقول: «لا أعود نفسي

التعريف بالشيوخ شيخ الإسلام زكريا الأنصاري

«الكسل»، حتى في حال مرضه كان يصلي التوابع قائماً، وهو يميل يميناً وشمالاً لا يتمالك أن يقف بغير ميل للكبر والمرض، هزيل له في ذلك. فقال: «يا ولدي النفس من شأنها الكسل، وأخاف أن تغلبني، وأختم عمري بذلك» وكان إذا أطل عليه أحد في الكلام يقول له: عجل قد ضيقت علينا الرمان، وكان إذا أصلح القارئ بين يديه كلمة في الكتاب الذي يقرأ وتحوه يشتغل بالذكر بصوت حفي قائلاً: «الله الله، لا يعتر عن ذلك حتى يفرغ».

وكان قليل الأكل لا يزيد على ثلث رغيف، ولا يأكل إلا من حبر خانقاه^(١) سعيد السعداء، ويقول: «إنما أخص خبزها بالأكل؛ لأن صاحبها كان من الملوك الصالحين، ونكر أنه عمرها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله تعالى عنه كثير الصدقة مع رعاياها، وكان له جماعة يرتب لهم من صدقته ما يكفيهم إلى يوم، وإلى جمعة، وإلى شهر، وكان يبذل في إحياء ذلك حتى كان غالب الناس يعتقدون في الشيخ قوة الصدقة».

ما تولاه من المناصب:

- ١- التدريس بمقام الإمام الشافعي والنظر على أوقافه^(٢)، ولم يكن بمصر أرفع منصباً من هذا التدريس، ثم انضم إليه النظر على القراة كلها.
- ٢- مشيخة خانقاه الصوفية.

(١) الخانقاه هي المكان الذي ينقطع فيه الصوفية لعبادة، واقتضت وظيفتها أن يكون لها تخطيط خاص، فهي تجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة إضافة إلى الغرف التي ينقطع فيها الصوفية للعبادة والتي تسمى بالخلوة، وكان السلاطين والأمراء يخصصون الأوقاف للإعانة على الخانقاهات لما توليه من وظائف دينية وعلمية وخيرية، وتعد خانقاه سعيد السعداء هي أول خانقاه أنشأت في مصر.

(٢) نظارة الأوقاف هي السلطة التي تخرج صاحبها في حفظ الأعيان الموقوفة وإدارة شئونها واستغلالها استغلالاً نافعا وإجراء المعازاة اللازمة لها وصرف غلاتها إلى المستحقين. ويسمى من تثبت له هذه السلطة الممولي أو الناظر أو القائم.

الردة الرائعة شرح الردء الفائق

٣- مشيخة مدرسة الجمالية.

٤- منصب قاضي القضاة، وكان ذلك بعد امتناع طويل في سلطنة حشقدم ولما ولي السلطنة قايتباي أصر على توليه قضاء القضاة فقبل، وكان ذلك في سنة ٨٨٦ هـ، واستمر مدة ولاية قايتباي وبعدها.

تلاميذه:

تلمذ على شيخ الإسلام زكريا من لا يحصى كثرة من الطلبة، نذكر ممن نبغ منهم:

١- الشيخ العلامة فقيه مصر شهاب الدين أحمد الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشافعي. (ت ٩٥٧ هـ).

٢- وولده العلامة شمس الدين الرملي.

٣- والشيخ العلامة الإمام مفتي الحجاز، وعالمها شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي. (ت ٩٧٣ هـ أو ٩٧٤ هـ).

٤- الإمام العلامة فخر الدين عثمان السنباطي الشافعي. (ت ٩٣٧ هـ).

٥- قاضي القضاة ولي الدين محمد بن قاضي القضاة شهاب الدين أحمد ابن محمود بن عبد الله بن محمود بن الفرغور النمشي. (ت ٩٣٧ هـ).

٦- مفتي بعلبك محمد بن محمد بن علي القصبي البعلبي الشافعي، (ت ٩٤١ هـ).

٧- الإمام العلامة المحقق الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن يوسف القاري ثم الدمشقي الشافعي. (ت ٩٤٥ هـ).

التعريف بالشارح شيخ الإسلام ركبنا لأتصاري

- ٨- الشيخ الإمام المحدث علاء الدين أبو الحسن علي بن جلال الدين محمد البكري الصديقي الشافعي. (ت ٩٥٢ هـ).
- ٩- الإمام العلامة الورع الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن محمد الأنطاكي الحلبي الحنفي، المعروف بابن حمادة. (ت ٩٥٣ هـ).
- ١٠- الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن العلامة زين الدين حسن بن عبد الرحمن بن محمد الحلبي الشافعي، المشهور بابن العمادي. (ت ٩٥٤ هـ).
- ١١- الإمام باكتير عبد المعطي بن الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله المكي الحصرمي الشافعي. (ت ٩٨٩ هـ).
- ١٢- الشيخ العلامة مفتي البلاد الحلبية البدر بن السيوفي.
- ١٣- الشيخ العلامة بدر الدين العلاني الحنفي.
- ١٤- الشيخ الصالح الولي عبد الوهاب الشعراني.

مؤلفاته:

وقد رزق الشيخ رحمه الله- جودة التأليف مع الكثرة واشتهر منها ما يلي:

- ١- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، وهو شرح على روض الطالب في الفقه الشافعي لابن أبي بكر المقرئ اليمني والذي هو مختصر لروضة الطالبين، وقد ختم شيخ الإسلام تحقيقه بين يدي مؤلف المتن الشيخ المقرئ وذلك في سنة ٨٩٢ هـ.
- ٢- منهج الطلاب، متن في فقه الشافعية، وهو مختصر لمنهاج الطالبين للإمام النووي، وهو متن محكم متين.

- ٣- العرر البهية في شرح البهجة الوردية، وهو شرحه الكبير على النظم المسمى بهجة الحاوي والمشهور بالدهجة الوردية لابن الوردي (ت ٧٤٧ هـ) الذي نظم فيه الحاوي الصغير لنجم الدين القرويني، وفرغ من نظمه سنة ٧٣٠ هـ، وقد فرغ شيخ الإسلام ركبياً من تأليفه سنة ٨٦٧ هـ.
- ٤- تحرير تنقيح اللباب، وهو اختصار لتنقيح اللباب في الفقه، وقد شرحه العلامة زين الدين عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ).
- ٥- تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب، وهو شرح لمختصره السابق.
- ٦- فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، وهو شرح على منته السابق.
- ٧- لب الأصول، اختصره من جمع الجوامع للإمام ابن السبكي، وهو مختصر محكم متين.
- ٨- عاية الوصول بشرح لب الأصول، وهو شرح له على منته السابق فرغ منه سنة ٩٠٢ هـ.
- ٩- فتح الرحمن بشرح لقطة العجلان ويلة الظمان للزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في أصول الفقه.
- ١٠- تلخيص أسئلة القرآن وأجوبتها لأبي بكر الرازي.
- ١١- فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل، وهو حاشية على تفسير البيضاوي.
- ١٢- شرح الأربعين النووية.
- ١٣- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، شرح على المقدمة الجربية في التوحيد لشمس الدين بن الجري (ت ٨٣٣ هـ).

التعريف بالشارح شيخ لإسلام ركب الأنصاري

١٤- تحفة الباري شرح الجامع الصحيح للبخاري، وهو شرح حافل لصحيح البخاري، طبع بالمطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣٢٦ هـ في اثني عشر مجلدًا مع إرشاد الساري للقسطاني.

١٥- إحكام الدلالة على تحرير الرسالة، شرح فيه الرسالة القشيرية في التصوف، وهرغ من تأليفه سنة ٨٩٣ هـ.

١٦- الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفجرة، وهو شرح على القصيدة المنفجرة لأبي الفضل يوسف بن محمد النوزي الشهير بابن البحوي.

١٧- الرعدة الرنفة في شرح البردة الفانقة، وهو شرح على البردة للبوصيري، وهو هذا الكتاب الذي نقتمه اليوم ضمن سلسلة تراث الأزهريين.

١٨- الفتوحات الإلهية في دفع أرواح الذوات الإنسانية، في التصوف.

١٩- فتح اللوهاب بشرح الآداب، وهو شرح على رسالة شمس الدين السمرقندي في آداب البحث والمناظرة، فرغ من تأليفه سنة ٨٦٨ هـ.

٢٠- بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب، وهو شرح على متن شذور الذهب في النحو لابن هشام، فرغ من تأليفه سنة ٨٨٢ هـ.

وفاته:

توفي -رضي الله تعالى عنه- يوم الأربعاء ثالث شهر ذي الحجة سنة ٩٢٦ هـ، عن مائة وثلاث سنوت، وغسل في صبيحة يوم الخميس، وكفن ودفن بالعرفة الصغرى بقرية الشيخ نجم الدين الحويشاني بقرب مقام الإمام لثاقفي، وصلي عليه صلاة العائب بالجامع الأموي بدمشق.

ومن شعره ما قاله - رضي الله تعالى عنه - راجب ومتوسلا:

إلهي دنوبي قد تعاطمَ خطُرُها	وليس على غير المُسامح منكل
إلهي أنا العبدُ المُسيءُ وليس لي	سواك، ولا عِلْمٌ لديّ ولا عمل
إلهي ألقني عثرَتي وحطيتي	لأنّي يا مولاي في غاية الححل
إلهي دنوبي مثل سبعةِ أحر	ولكنها في جنب عفوِكَ كالبيان
ولولا رجائي أن عفوكَ واسِعٌ	وأنت كريمٌ ما صبرتُ على زلل
إلهي بحقّ الهاشمي محمدٍ	أجربي من النيرانِ إني في وجل
وباللطف والعفو الجميل تولّني	وبالخير فامننْ عند خاتمة الأجل

٣- التعريف بناظم البردة الإمام شرف الدين البوصيري

اسمه ونشأته:

هو محمد بن سعيد بن حماد بن الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله. ولد بقرية «دلاص» إحدى قرى بني مويث من صعيد مصر سنة ٦٠٨ هـ (١٢١٣ م) لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة «صنهاجة» إحدى قبائل البربر، التي استوطنت الصحراء جنوب المغرب الأقصى.

نشأ البوصيري بقرية «بوصير» القريبة من مسقط رأسه، وبعد أن استظهر القرآن الكريم، أخذ يطلب العلم والعريفة على علماء عصره، حتى وقف على أغراضهما وجمع أشقائهما، فشئت إليه الرحال، وأخذ العلم عنه عدد كبير من العلماء المعروفين، كأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، وفتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد اليعمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس... وغيرهما من العلماء الذين استفادوا من علمه وبهلوها من أدبه.

وقد أجاد البوصيري الخط، وتعلم قواعد هذا الفن على يد إبراهيم بن أبي عبد الله المصري وكان واحداً ممن اشتهروا بتجويد الخط في مصر، وشغل البوصيري عدداً من الوظائف في القاهرة والأقاليم، فعمل في صناعة الكتب خلال فترة شبابه، ثم عمل ككاتب للحسابات بمدينة بليس بالشرقية.

الريسة الزاهرة شرح البردة العائقة

عاش الإمام البوصيري في القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) في أجواء سادها اضطراب سياسي وفساد في الحياة الاجتماعية، واصمحلال في الحياة الأدبية والفكرية، وأثر ذلك على البوصيري في بواكير حياته، فأخذ ينقد تصرفات المحيطين به في العمل، إذ كان يعاني من أخلاقهم ما لا يلائم طبعه ولا يناسب عقله وصالحه، وكان يضيق صدره بهم كثيرا، فطم فيهم قصائد عدة يصف بها حالهم ويذكر مساوئهم، من جملتها قصيدته النونية التي مطلعها:

نقدت طوائف المستحدمينا فلم أر فيهم رجلا أمينا

وما لبث البوصيري أن ترك وطنه، وغادر إلى الإسكندرية واستوطنها حتى آخر حياته، وفي الإسكندرية عرف الإمام البوصيري شيخ الإسكندرية وعالمها الجليل سيدي أبا العباس المرسى الذي كان قد وفد إلى الإسكندرية سنة ٦٤٢ هـ.

تصوف البوصيري:

لزم البوصيري شيوخه أبا العباس المرسى، وأقبل على طريقه الصوفي وتلمذ على يديه، فكان لهذه الصحبة المباركة أثرها العميق في توجيه البوصيري وصفاء روحه وقلبه.

يقول علي مبارك في حططه: «كان البوصيري وابن عطاء الله السكندري تلميذين لأبي العباس المرسى - فخلع على البوصيري لسان الشعر، وعلى ابن عطاء الله صاحب الحكم لسان النثر».

التحريف بباطل البردة الإمام شرف الدين البوصيري

وقد وقف البوصيري شعره وقفه على مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا عجب في ذلك، فقد كان رضي الله عنه تلميذ العارف بالله أبي العباس المرسي، الذي أحب سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم، واتخذ من شريعته طريقه إلى الله حتى أصبح استشعار عظمته عليه الصلاة والسلام ماثلا في خاطره في كل حين، وكان أبو العباس المرسي يقول: «لو غاب ذكر محمد عليه السلام عن خاطري طرفة عين ما عدت نفسي مسلما».

وإذا كان هذا هو حال الأستاذ، فإن حال التلميذ كانت صورة صادقة من حال أستاذه، فعمر قلبه بحب الله ورسوله، وحمله هذا الحب على دراسة السيرة الطاهرة والإحاطة بدقائقها، وكانت تلك الإحاطة مدده الذي لم ينقطع وهو يصوغ مدائحه النبوية المتعددة، والتي تعد البردة والهمزية من أشهرها.

آثاره الأخرى:

ترك الإمام البوصيري -إضافة إلى البردة الشهيرة- عددا كبيرا من القصائد، من أروعها في مدح النبي أيضا قصيدة «الهمزية» الشهيرة التي تتكون من ٤٥٧ بيتا، ويقول في مطلعها:

كيف ترقى رُقيك الأنبياءُ يا معاء ما طاولتها سماءُ

ومن قصائده الرائعة أيضا في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قصيدته «المُضَرِّية في الصلاة على خير البرية» التي يقول في مطلعها:

يارب صلّ على المُختارِ مِنْ مُضَرٍ والأنبيا وجميع الرُّسلِ ما تُكروا
وصلّ ربّ على الهادي وعترته وصحبه مَنْ لَطِيّ الدِّينِ قد نشروا

الريدة الرائعة شرح البردة العاتقة

ومنها أيضا القصيدة المحمدية التي يقول في مطلعها:

محمدٌ أشرفَ الأعرابِ والعجمِ محمدٌ خيرُ مَنْ يمشي على نِعمِ
محمدٌ بأسطُ المعروفِ جامعُهُ محمدٌ صاحبُ الإحسانِ والكرمِ
محمدٌ تاجُ رُسُلِ الله قاطِبُهُ محمدٌ صادقُ الأقوالِ والكِليمِ

من روائع قصائده أيضا قصيدته «الحائية»، التي تقع في ٥٨ بيتا، ويقول في مطلعها:

أمدائحُ لي فيك أم تسبيحٌ لولاك ما غفر الذُّنوبِ مديحُ
خُذْتُ أَنْ مدائحي في المصطفى كفارة لي والحديث صحيحُ
والتي يقول في آخرها مناجيا الله عز وجل، متضرعا إليه:

يا من خزائن ملكه مملوءة كرماً وباب عطائه مفتوح
تدعوك عن فقرٍ إليك وحاجةٍ ومجال فضلك للعباد فسبح
فاصفح عن العبد المسيء تكرمنا إن الكريم عن المسيء صغوح

وقصيدته «الدالية» التي بدأها بحمد الله وتقديسه، فقال:

إلهي على كل الأمور لك الحمد فليس لما أوليت من نعمٍ حدُ
لك الأمرُ من قبل الزمان وبعده وما لك قبل كالزمان ولا بعدُ
وحُكْمُك ماضٍ في الخلائق نافذٌ إذا شئتَ أمراً ليس من كونه بُدُ
تُضِلُّ وتهدي من تشاء من الورى وما بيد الإنسان غيٌّ ولا رُشدُ

اشتهر أيضا من قصائده لاميته التي عارض بها قصيدة الصحابي الجليل
كعب بن مالك «بانت معاد»، وبدأها البوصيري بداية وعطية إرشادية، فقال:

إلى متى أنت بالذات مشغولُ وأنت عن كل ما قُمتَ ممنولُ
في كل يوم ترجى أن تتوب غدا وعقدُ عزمك بالتسوية محلولُ

ومن قصائده التي نلم عن تطلعه في علوم الدين والعقيدة، لاميته التي
كتبها في تنديد عقائد اليهود والنصارى، وتقع في ١٥٣ بيتا، واستطاع البوصيري
فيها أن يستعرض كل الحجج التي تناقلتها أجيال المسلمين في الرد على اليهود
والنصارى، ومطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولا فأبى أقل العالمين عقولا
قوم رأوا بشرا كريما فادّعوا من جهلهم بالله فيه خلولا

وفاته

توفي الإمام البوصيري بالإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م)، ودفن في
مسجده، الذي كان في الأصل زاوية صغيرة توالى عليها يد الإصلاح والترميم
حتى شيد المسجد الحالي (سنة ١٢٧٤ هـ)، والذي يقع في مواجهة جامع سيدي
أبي العباس المرسي، فجاور الإمام البوصيري أستاذه أبا العباس في حياته وبعد
مماته، رضي الله تعالى عنهما.

٤- تقديم الكتاب

بقلم الدكتور عطية مصطفى
أستاذ الدعوة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بكل لسان، المُنقَّص عن الشُّهود والعيان، المشهود
بمؤيداء الجنان، عظيم السلطان، قوي الأركان، واضح البرهان، الذي لا يجري
عليه زمانٌ ولا يُحيط به مكان، كان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، والأعنان الأشملان، الدائمان
الأبديان، المُستمرَّكان السرمديان على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، إنسان عين
كل إنسان وجان، ومورد عنب كل ظمآن، بهجة الزمان ونفحة المكان، المعرّف
به من ربه في سائر الأكوان، الذي فتح الله تعالى به النبوّة في العوالم الأوليّة،
وحتم به الرسالات في نعيم البشرية، وعلى آله الأطهار المباركين نوي الشجرة
الزكيّة والظوب الرضيّة والأرواح العلويّة، وعلى صحابته الميامين نوي الهمم
العلويّة والعرائم العريّة، الذين حازوا بصحبته أعلى مرتبة ومزية، وأعظم درجة
وخصوصية، وعلى كل من سلك دريهم ولزم جريتهم ونال قُربهم وحُبهم، إلى يوم
تقف فيه الخلائق أمام رب البرية، أما بعد...

نفعيم الكتاب

فهذه مقدمة مباركة لبردة المديح النبوية، التي أفاضها الله تعالى على قلب ولسان شيخ المادحين الإمام أبي عبد الله محمد البوصيري رضي الله تعالى عنه، والتي كتب الله تعالى لها القبول لدى قلوب المحبين العاشقين، وعقول المؤمنين الصادقين المتعلقين والموقرين لحاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات الله تعالى عليه وعلى إخوانه من النبيين وآله الطيبين وصحابته المكرمين.

المديح النبوي وفضله:

والمديح بصفة عامة هو الثناء على الممدوح بما يستحق من وصف حسن ومرأيا جميلة ومناقب جليلة، أما مفهوم المديح النبوي لحضرته صلى الله عليه وآله وسلم فهو عبارة عن الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نثرا وشعرا، بتعداد ما أكرمه الله تعالى به من طيب الخصال وجميل الخلال، ووفرة مظاهر الجمال والجلال والكمال. وقد تسابق الصحابة رضي الله تعالى عنهم في ذلك، وكانوا يعدنون أوصافه وأحلافه نثرا وبظما، في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كما سئرى ذلك في حبه.

ولا يدفع إلى المديح بصفة عامة سوى أمرين اثنين لا ثالث لهما: محبة الممدوح والتودد إليه وابتغاء رضاه وحبه، أو كسب العطاء المادي من الممدوح وذلك كمدح الشعراء للملوك والولاة والحكام ولأغنياء لكسب عطاياهم. ولا شك أن مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوع الأول الذي يُعزُّر فيه المادح عن حبه له صلى الله عليه وآله وسلم، الذي هو دليل على كمال الإيمان كما هو معروف، والذي هو من حب الله تعالى كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)^(١)، وكما

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ صَحِيحِهِ، بَابُ حُبِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُسْلِمٌ أَيْضًا فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ صَحِيحِهِ، بَابُ وَجوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال عليه الصلاة والسلام: (أحبوا الله لما يعذوكم من نعمه، وأحبوا الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي)^(١).

والذي يُحقّق النظر فيما ورد في كتاب الله تعالى من تكريم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وثناء عليه من الله عز وجل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وقوله سبحانه: ﴿فِيهَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَتَ لَّهُمْ...﴾^(٤) إلى غير ذلك، يدرك أن الله تعالى أنشأ على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما لم يُثنِ به على أحد سواه، وجعل أئمة الخلق تلجّ بذلك استجابة لثناء الله تعالى عليه، وتحقيقاً لمعنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٥).

فكل المادحين يدور في فلك تحقيق هذا المعنى، ويغترون من معين مدح الله تعالى لأحلافه صلى الله عليه وآله وسلم، وفي هذا المعنى جاء قول بعضهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

يا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ وَالكَوْنُ لَمْ تَفْتَحْ لَهُ أَعْلَاقُ
أَيُّرُومَ مَخْلُوقٍ ثَقَاكَ بِعَدَمِهَا أَنشَأَ عَلَى أَحْلَاقِكَ الْحَلَقُ

أي لا يبلغ كائن من كان مبلغ ما قاله الحق تعالى فيك، صلى الله عليه وسلم سيدي يا رسول الله!

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، والحاكم في المستدرک على الصحيحين.

(٢) سورة النجم - الآية ٤

(٣) سورة الأنبياء - الآية ١٠٧

(٤) سورة آل عمران - من الآية ١٥٩

(٥) سورة الشرح - الآية ٤

مديح الأولين في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إن النشء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وكتب حياته من ولها، وتناقلت كتب السيرة أخبار هذا المديح والنشء من الأولين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحين ولد حملة جدّه عيد المطلب وذهب به إلى كعبة المشرفة وطاف به، ولم يملك نفسه من النشء على الوليد الجديد والمولود لسعيد، فقال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا العلام الطيب الأرداني
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذي الأركان

وقال فيه عمه أبو طالب كما جاء في سيرة ابن هشام:
وأبيضٌ يُستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهالك من آل هاشم هم عده في رحمة وفواصل

وقد أورد ابن هشام في سيرته قصيدة أبي طالب الذي جاءت فيها هذه الأبيات، معقبا عليها بحديث الاستسقاء، فقال: أقحط أهل المدينة، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكوا ذلك إليه، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الميز فاستسقى، لما ثبت أن جاء من المطر ما أتاه أهل الصواحي يشكون منه الغرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم حوالينا ولا علينا)، فأنجاب السحاب عن المدينة فصار حوالينا كالإكليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه)، فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وأبيضٌ يُستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

قال: (أجل).

إن مدح النبي صلى الله عليه وسلم هو في حقيقة الأمر مدح للنبوة، وإن الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو في حقيقة ثناء على الرسالة وعلى من أرسله بها، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يفرح حين يُمدح، لا لشخصه وإنما لأن المدح لا يصدُرُ إلا من مُحبٍّ صادق ومؤمن كامل الإيمان، ولا أدل على ذلك من قصة إسلام كعب بن زهير والتي رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة، وابن عبد البر في الاستيعاب، وغيرهم، حيث أنشد كعب بن زهير قصيدته «بانت سعاد» بين يدي رسول الله مُعْتَرِياً بها عما بدر منه، مادحاً فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فسرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاه برقته. وذكر ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله:

إن الرسول لنورٍ يُستضاء به مُهتدٍ من سيوف الله مسلول

قال: فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى من معه أن اسمعوا. لذلك كان الصحابة لا يرون بأساً في إنشاد قصائد المديح في المسجد، وقد أورد الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه في كتاب الصلاة من جامعه الصحيح باباً ترجم له بقوله: «باب الشعر في المسجد»، وفقه البخاري كما يقولون - يُعرف من ترجمه^(١).

وأخرج البخاري أيضاً في كتاب بدء الخلق من صحيحه، بسنده عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(١) وأورد النصابي أيضاً في كتاب المساجد من سننه باباً بعنوان «باب الرحصة في إنشاد الشعر الحسن في المسجد».

تحريم الكتاب

(أحبب عني، اللهم أيده بروح القدس)، قال: نعم. والمراد بروح القدس سيدنا جبريل عليه السلام، بدليل حديث البراء بن عازب عند البخاري بلفظ: (أَهْجَاهُمْ أو هاجهم وجبريل معك)^(١).

وأورد الترمذي وأبو داود وأحمد، من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحنان منبرا في المسجد يهجو عليه الكفار^(٢).

ومن جميل ما قاله حسان بن ثابت في مديح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

أَعْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خُصَائِمٌ مِنْ اللَّهِ مِيمُونَ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلَهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخُمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَـهُ مِنْ أَسْمِهِ لِيُجَلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحْمَدُ^(٣)
وقوله أيضا:

وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَزُ قَطُّ عَيْنِي وَأَكْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَدِ النَّسَاءُ
خُلِفَتْ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِفْتَ كَمَا تَشَاءُ^(٤)

(١) رواه البخاري في كتاب الألقاب، باب هجاء المشركين.

(٢) عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحنان منبرا في المسجد، فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن روح القدس مع حسن ما نالني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)»

(٣) انظر ديوان حسان بن ثابت، بشرح عبد الرحمن البرقوقي، قافية: بدال.

(٤) انظر ديوان حسان بن ثابت، بشرح عبد الرحمن البرقوقي، قافية: لائف.

المديح والمتشددون:

يشتبه على البعض أمر المديح النبوي ويظنون أنه لا يجوز، ويتشبثون بحديث لم يفهموا مراده، ويستدلون به في غير موضعه، وهو الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)^(١).

والحديث يدعو إلى المديح ويخص عليه ولا يمنعه، فاللهي في الحديث مقيد، والنهي المعيد ينبغي أن يفهم في ضوء قيده، فاللهي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أن صالح أمة سوف بمدحونه بما مدحه الحق تعالى به، وهذا أمر لا بد منه، فكل أمة تمدح نبيها لأن مدح الرسول مدح لرسالته وتمجيد لمن أرسله تبارك وتعالى، لكنه يحترق من أن يصل هذا المدح إلى حد الثأليه أو البؤنة لله تعالى، والذي وقعت فيه بعض الأمم حين انحرفت في مدح أنبيائها، ويعلم هذا جلياً من ذلك القيد الموجود في الحديث نفسه.

لهذا لم يقف الحديث عائقاً أمام مدحه صلى الله عليه وآله وسلم عند كل من فهمه فهما صحيحاً، فجاء مدحه صلى الله عليه وآله وسلم على السنة الصحابة الأجلاء والتابعين العظماء وسُلحاء الأمة سلفاً وخلفاء، دون أن ينزعجوا من النهي عن الإطراء لأنه مقيد بما حفظهم الله تعالى منه، على ما يفهم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ..)^(٢)

(١) روه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء من صحيحه، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ أنبأ من أهلها).

(٢) روه البخاري في كتاب الجنائز من صحيحه، باب الصلاة على الشهيد.

والى هذا النهي المقيّد أشار الإمام البوصيري رضي الله تعالى عنه في
لمردة، فقال:

دُع ما ادّعته النصارى في نبينهم واخكم بما ثبت مدحا فيه واحتكم
وانسبب إلى ذاته ما ثبت من شره واسبب إلى قدره ما ثبت من حكم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه تـاطق بقم

والحق أنه لا ينبغي لعاقِل أن يجتزأ من النص ثم يأخذ حكما على هواه،
كما لا يجوز الاستشهاد ببعض الأحاديث دون معرفة مراد الشرع منها، فهناك
أحاديث تتجه إلى نهْي بعينه، يُفصلُ معانيها أحاديث أخرى، وذلك مثل
لحديث الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن المقداد بن عمرو قال: (أمرنا رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم أن نخفي^(١) في وجوه المذاحين التراب).

فهذا الحديث ينهى عن أن تمدح إنساناً في وجهه وبحضوره، وإن كان ما
تعدّحه به مما اتّصف به فعلاً، بينما صدر المدح منه صلى الله عليه وسلم
لأناس في حضورهم، وقد قال أيضاً عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي
رواه الحاكم في المستدرک والطبرسي في المعجم الكبير بسنديهما عن أسامة بن
زيد: (إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه)، فخصّص هذا الحديث
المنع في الحديث السابق بما إذا خيف على الممدوح الغرور والزهو والخلاء،
فيمنع المدح في حضرته، وهذا ما فهمه الإمام مسلم من حديث النهي الذي
أورده، لذلك أدرج الحديث في صحيحه في باب بعنوان: «النهي عن المدح إذا
كان فيه إهراط وخيف منه فتنة على الممدوح»، فلا بد من فهم الأحاديث فهما
صحيحا، ولا بد من أخذ العلم عن أهله، جرى الله عنا شيوحننا خير الجراء.

(١) وفي رواية أخرى: «أن نخفي وجوهنا من المذاحين» (أن نخفي)

بردة الإمام البوصيري وسبب تأليفها:

أنشأ الإمام البوصيري رضي الله تعالى عنه قصيدة البردة في مرضٍ ألمَّ به، وقد اجتمع لهذه القصيدة صدقُ الجنانِ وفصاحةُ اللسانِ وقوةُ البيانِ وحرارةُ العاطفة، وقد جاءت قصيدته هذه في لحظة اضطرابٍ وساعة انكسارٍ وانقمارٍ، وجو ضراعة خاص، كان المادح فيه قد سُنت أمانته كلُّ الأبواب، إلا باب عشق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبِّه الصادق، الذي لا ينضبُّ منه قلبٌ ولبي من الأولياء في سائر الأحوال وشتى الظروف، فتوسل بذلك الحب وهذا العشق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى، فعبّر عن حبه وعشقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصيدة. لهذا قال أميرُ الشعراء أحمد شوقي في قصيدته «نهج البردة» مقتباً عن مديح الإمام البوصيري:

مديحه فيك حُبٌّ صادقٌ وهوى وصادقُ الحبِّ يُملى صادقَ الكلام

يُحَدِّثُنَا الإمام البوصيري رحمه الله تعالى عن الجو الذي قيلت فيه هذه البردة فيقول (١): «.. داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل بصمي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه، فعملتها واستشفعتُ بها لله تعالى في أن يُعافيني، وكررت إنشادها ودعوت وتوسلت ونمت، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسمع على وجهي بيده المباركة وألقى عليّ بركة» (٢)، فانتبهتُ ووجدتُ في نهضة، فمُتُ وخرجتُ من بيتي، ولم أكن أعلمُ بذلك أحداً، فلقيني بعضُ الفقهاء (٣)، فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه

(١) يأتي ذكر ذلك على لسان الشارح شيخ الإسلام الفاسي زكريا الأنصاري رضي الله عنه في

نهاية الشرح، وإنما منقاه ها لبيان الجو العاطفي الذي قيلت فيه القصيدة

(٢) وهذا سبب تسمية هذه القصيدة بالبردة تكماً ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من أسباب قولها واستمرارها

(٣) أي أحد الصالحين.

تقديم الكتاب

وآله وسلم، فقلتُ: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها

« . .

تفاعلُ المسلمين مع البردة:

لم يشتهر أحد في مجال مدح خير البرية صلى الله عليه وآله وسلم، مثمناً
اشتهر البوصيري صاحب البردة الشهيرة التي فاقت شهرتها شهرة صاحبها،
والتي تُعتبر من العرائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تلقاها
العلماء في مشارق الأرض ومغاربها عرباً وعجماً بالقبول والإجلال، حتى إنها
كانت الهدية التي قدمها العلامة ابن خلدون إلى تيمورلنك، كما كان الأمير عبد
لقادر الجزائري يكتب على رايته التي جاهد تحتها الفرنسيين بيت من أبياتها،
هو البيت الذي يقول فيه الإمام البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأمد في آجامها نجم

وأصبحت البردة من أهم القصائد التي يتغنى بها المداحون في الليالي
الدينية وفي الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، بل دأب المسلمون في العديد
من البلدان على إقامة مجالس أسبوعية للبردة يجتمعون فيها لقراءتها بصورة
جماعية، مرددين البيت التالي بعد كل بيت من أبياتها:

مولاي صلّ وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

ونكر العلماء في حكمة اختيار هذا البيت للتكرار، أن الناظم رضي الله
عالي عنه لما أنشأ هذه القصيدة رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في
لعمرك، فأنشدها بين يديه فطرب صلى الله عليه وسلم لها وأعجبته، فلما انتهى
لى قوله: «فصلح العلم فيه أنه بشر» وقف الناظم ولم يستطع أن يكمل البيت،
فقال عليه الصلاة والسلام له: (قل: وأنه خير خلق الله كلهم)، فأدرج الإمام

البوصيري هذا المصراع في البيت «المتقدم» وجعله مطلعاً يُرثدُ بعد كل بيت، صلاةً مُكرّرةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية، وحرصاً على لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية أخرى، تبرّكاً به عليه الصلاة والسلام.

ويصف ركي مبارك في كتابه المدائح النبوية تأثير البردة في مجتمعات المسلمين فيقول:

«نستطيع الجزم بأن الجماهير في مختلف الأقطار الإسلامية لم تحفظ قصيدة مطولة كما حفظت البردة، فقد كانت ولا تزال من الأوراد، تُقرأ في الصباح وتُقرأ في المساء، وكنت أرى لها مجلساً يُعقد في ضريح سيدنا الحسين بعد صلاة الفجر من كل يوم جمعة، وكان لذلك المجلس رهبة تأخذ بمجامع لقلوب...».

ثم يقول متحدثاً عن الأثر التعليمي والتربوي للبردة:

«ولبوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثرٌ في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فمن البردة تلقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن البردة عرفوا أبواباً من السيرة النبوية، وعن البردة تلقوا أبلغ درس في كرم الشماائل والجلال، وكذلك استطاع البوصيري بتصوفه أن يؤثر في الأدب والأخلاق تأثيراً لا يُدرك كنهه إلا من رأى كيف تدور البردة على ألسنة العوام، وكيف تُهدب ما انطبعوا عليه من عنجهية الخصال، وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الله والرسول».

أثرُ هذه القصيدة في الشعر العربي:

لقد ظَلَّت قصيدةُ البُرْدَةِ مصدرَ إلهامٍ لكثيرٍ من الشعراء على مر العصور الدهور، يحثون حذوها ويمسجون على مَنوالها، وينتهجون نَهجها، ومن أبرز أظهر مُعارضات الشعراء عليها قصيدةُ «بُهج البُرْدَةِ» لِأَمير الشعراء أحمد موقى، والتي تقع في ١٩٠ بيتاً مطلعها:

رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَابِ وَالْعَلَمِ أَحْلَ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهَرِ الْحَرَمِ

والتي يقول فيها مُعترفٍ بِفَضْلِ الإمام البوصيري وبرِدته:

الْعَادِحُونَ وَأَرْسَابُ الْهَرَى تَبَعٌ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
مَدِيحُهُ فَبِكَ حُبٍّ خَالِصٍ وَهَوًى وَصَادِقُ الْحُبِّ يُمَلِّى صَادِقَ الْكَلَمِ
اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ
وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِينَ وَمَنْ يَغِيظُ وَلَيْتَكَ لَا يُنْزِمُ وَلَا يَلَمُ

ولم يقف الاهتمام بالبُرْدَةِ لدى الشعراء والمُلاحِين عند حد المعارضة والنسج على الموالم فقط، وإنما حظيت باهتمام بالغ في نثيا الشعر، فقد شَطَرُوها وخمَسُوها وسَبَعُوها وعَشَرُوها^(١)، وقد ذكر الدكتور زكي مبارك في كتابه «المدايح النبوية» أمثلة ذلك، حتى ذكر أن الذين خمَسُوها نحو الثمانين شاعراً، وكان الإمام الفيومي أشهر من خمسها، في حين كان الإمام البيضاوي هو أشهر من سبَعُها، رحمة الله عليهم جميعاً.

(١) التخصير أن يأتي الشاعر بشطر البيت من القصيدة التي يريد شطيرها، ثم يأتي بعجز البيت من إنشائه هو على نفس الوزن والقافية والمعنى، ثم يأتي بصدر بيت من إنشائه ثم يحتم بعجز البيت الأول من قصيدة سابقة، والتخصير أن يأتي بثلاثة شطرات قبل البيت من القصيدة التي يريد تخميسها، والتقصيع أن يأتي بخمس شطرات، والتشهير أن يأتي بثماني شطرات.

شروح البردة:

اعتنى الكثير من العلماء بشرح هذه القصيدة المباركة وإعرابها وتدريبها في المساجد، ويقول أحد شراح هذه القصيدة وهو ابن العماد الإقفهسي مبيّناً سبب إقباله على شرحها:

«إن على كل مكلف أن يبحث عن صفات سيد المرسلين ليفتدي به ويأخذ بطريق السالكين، ولما كانت هذه القصيدة مشتملة على جُمَلٍ من صفاته ومعجزاته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم، كانت جديرة بأن تكون مناط اهتمام ومحلّ لعدد من الشروح».

وقد أحصى الدكتور زكي مبارك عشرين شرحاً لها في كتابه «المدائح النبوية»، إضافة إلى مجموعة أخرى من الشروح لا يعرف مؤلفوها.

ومن أشهر شروح البردة:

- ١- شرح الشيخ ملا علي الفاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ
- ٢- شرح الشيخ جلال الدين المحلي الشافعي، المتوفى سنة ٨٦٤ هـ
- ٣ شرح شيخ الإسلام زكري الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦ هـ، وهو هذا الشرح الذي نقدم له

- ٤- شرح الشيخ المصطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ
- ٥- شرح الشيخ إبراهيم الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ

البردة ومن الخط العربي

كان ابن مقلة (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) هو أول من هندس الحروف العربية وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط، وضبطها ضبطاً محكماً، وقد قل ابن مقلة نفسه إنه اخترع هذا الخط حتى يكتب به القرآن «فالقرآن نزل بسببه إلهية فاضلة، فيجب أن يكتب بسببه إلهية فاضلة».

ارتبط فن الخط العربي إذن منذ نشأته بالقرآن الكريم، وقد أنشئ هذا الارتباط علاقة روحية بين الخطاط وبين الخط، حتى قيل: «بقاء الكتابة من بقاء النفس»، وحتى اعتبروا أن الخطاط لا يصل إلى قمة طريقه إلا إذا كتب لمصحف الشريف، وحرص لذلك أهداد الخطاطين في مختلف العصور والأمصار على كتابة المصحف الشريف، وبرعوا وتفننوا في ذلك، حتى إن الواحد منهم كان يحرص على كتابة المصحف أكثر من مرة، ويروي أن ابن البواب (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) كتب أربعة وستين مصحفاً، وأن ياقوت المستعصمي (ت ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) كتب سبعة مصاحف.

ولم تتوقف رعاية هؤلاء الخطاطين المبدعين عند حدود النص القرآني، بل برعوا في فنون أخرى كالزخرفة والتذهيب، لما رأوه من كونها وسيلة إيجابية تسهم في توصيل الرسالة التي يريدون تحقيقها بواسطة الخط، حرص الكثير من الخطاطين أيضاً على التمسك في كتابة بعض النصوص الأخرى ذات لأهمية الخاصة كالأحاديث النبوية أو الوصايا ولأشعار الديبية.

ولم كانت قصيدة البردة التي أنشدتها الإمام شرف الدين البوصيري في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم من أروع ما قيل في مدحه صلى الله عليه وسلم، لم يكن بالمستغرب على الخطاط المسلم أن يحتفي بهذا النص ويدفع في كتابته، تقرباً إلى الله عز وجل وتودداً إلى حبيبه صلى الله عليه وسلم.

وتمثل نسخة القصيدة التي كتبها ابن الصانع (ت ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م) شيخ الخطاطين في زمانه، والتي تقدمها ضمن هذا الإصدار، نموذجاً متميزاً لاحتفاء الخطاطين المبدعين بنص البردة، وانعكاساً لمكانة البردة في قلوب المؤمنين وأثرها في نفوسهم.

كان ابن الصانع (زين الدين عبد الرحمن بن يوسف الفاهري) شيخ الخطاطين في زمانه، وقد قال عنه الحافظ السخاوي في الضوء اللامع: «... وتصدى الرين المذكور للكتيب، فاستفح به الناس طبقة بعد أخرى، ونسخ عدة مصاحف وغيرها من الكتب والقصائد، وصار شيخ الكتاب في وقته بدون مدافع، ... وشهد له شيخنا (يعني: ابن حجر العسقلاني) مع كونه الغاية في إتقان الفن بمهارته وبراعته...».

وكغيره من كبار الخطاطين نسخ ابن الصانع عدة مصاحف كما أشار إلى ذلك الحافظ السخاوي، يوجد منها بدار الكتب المصرية مصحفان، كتب ابن الصانع أحدهما (مصحف السلطان برفوق) سنة ٨٠١ هـ، والآخر سنة ٨١٤ هـ.

أما عن نسخة البردة المشورة ضمن هذا الإصدار، والمحفوظة أيضاً بدار الكتب المصرية، فقد كتبها ابن الصانع سنة ٨٠٤ هـ، وعليها وقف باسم

تقديم الكتاب

السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر يرشدي النقيماقي الظاهري، حيث كانت موقوفة على جامع الكائن بخط العنبرانيين، وقد أحصرت من كتبخانة جامع الأشرف لتستقر بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥٥ أدب، وتشتمل هذه المخطوطة أيضا على تحميس يعد من أقدم التحاميس على قصيدة البردة، وهو لناصر الدين محمد بن عبد الصمد العيومي.

ولم يتوقف احتفاء الخطاطين المسلمين بالبردة بعد ابن الصائغ، فكتبها الكثير من الخطاطين على مر العصور، كان من أبرزهم من المتأخرين الشيخ عبد العزيز الرفاعي، إمام الخطاطين في القرن العشرين (ت ١٩٣٤ م) (١).

(١) جدير بالذكر هنا أيضا أن وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة، نظم منذ العام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، مسابقة سنوية في الشعر والحط العربي والخط الكلاسيكي موضوعها «البردة»، وذلك في إطار احتفالاتها بذكرى المولد النبوي الشريف.

« .. بعضنا قد نظر إلى نتائج الخصارة الإسلامية نظر إن دعه .. منع جمعي في
 بعمارة، وخص، والتذهيب للمصاحف والكتب، والفُسُفُساء، وسُجُجَاد والكُتُوم،
 وقليل أولئك الذين ينظرون إلى دُتْ كُتْ، فيعوضون إلى اسمودج المعرفي الكامن ..
 بظاهر، ويصوبون إلى رمزية ما أمامهم، ودلالات الأشياء على ما يتحسُّدُ من معاني
 وأفكار، ويعرفون علاقة ذلك بالعقائد والأخلاق القائمة في قلوبهم على مدى المعرفة بالله
 في عقول الجرفيين المتدينين، ويستبدون على ذلك في تحيل رائع على مدى المعرفة بالله
 ولحب له سبحانه ونهاية منه تعالى شأنه، ويربطون بين دُتْ كُتْ وبين لرؤية الكنية
 للإنسان والكون وخياه التي كانت سائدة أو شائعة في عصرهم، أو تلك التي اشترك
 فيها البشر أو امرد بما بعضه.

به شيء بديع وجميل أن تتمتع بالظاهر الذي يوصل إلى الباطن ... ويتشكل الذي
 يرتبط بالمتصور ... وبالجمان بعصري الذي يوصلنا إلى لاجمئان بعصري.

به شيء بديع رائع أن نتجاوز الشقي إلى الفهم ... ونسجور الفهم إلى التصديق،
 ونسجور التصديق إلى المعيشة والحياة، ههنا ما بذلك التمتع بالجمال»^١.

١ . مقدمة هبة الإمام العلامة الدكتور عبي محمد، معني الديار المصرية، بكتاب .. د .. ع
 القري « لشيخ أبي بكر سراج الدين

الزبدۃ الرائقة في شرح البردة الفائقة

بشرح شيخ الإسلام الفاسي
زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الوهاب، المتفضل بما منح من الثواب والصلاة والسلام
على سيد الأنام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام، وبعد،

فهذا شرح على البردة المنطومة على بحر البسيط في مدح سيد المرسلين،
نظم العالم العارف بالله تعالى، شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن
حماد المصري البوصيري، طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه، يحل لأطباعها،
ويبين مرادها، ويفتح أقفالها، وسميته بـ

«الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة»

والله أسأل أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه.

ثم قد جرت العادة بالابتداء بالبسملة ثم بالحمد لله، ولعل الناظم فعل ذلك
نطقاً، ثم جرّد من نفسه نفساً خاطبها فقال:

الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام

- ١- أَمِنْ تَذَكُّرِ جَبْرِانٍ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بَدَمٍ
٢- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْضَعَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ

أَمِنْ تَذَكُّرِ جَبْرِانٍ - بكسر الجيم - بِذِي سَلَمٍ، مَزَجَتْ - بفتح الظاء - دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بَدَمٍ. أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ أَي هَاجَتْ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ أَي جِهَتِهَا، وَأَوْضَعَ الْبَرْقُ أَي لَمَعَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ بكسر الهمزة.

و «بدم» تَنَارَعٌ^(١) «مزج»، و «جرى» وباءٌ على الأوَّل للتَّعْدِيَةِ، وعلى الثاني للمُصَاحَبَةِ، و «المُقَلَّةُ» العَيْنُ، وفيها الحَذَقَةُ وهي السَّوَادُ فِي وَسْطِهَا، وَفِي الْحَذَقَةِ النَّظَرُ^(٢) وَالْإِنْسَانُ^(٣)، وَهُوَ مَحَلُّ الْبَصَرِ مِنْهَا.

وَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَرَاعَةُ الاسْتِهْلَالِ، إِذْ فِيهِ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ تَذَكُّرُ الْجَبْرِانِ بِ «ذِي سَلَمٍ»، لِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ.

و «من» فِي الْمَوْضِعَيْنِ مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي ثَلَاثَتَيْنِ، وَأَرَادَ بِ «الْجَبْرِانِ» الْمُحْبِبَيْنِ،

(١) الشَّارِعُ لَعْنَةُ هُوَ التَّجَانُّبُ، وَفِي الْأَصْطِلَاحِ هُوَ تَكْدِيمُ عَمَلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عَلَى مَعْمُولٍ، بِحَيْثُ يَكُونُ كُلُّ مِنَ الْعَمَلَيْنِ أَوْ الْعَوَامِلِ الْمُتَعَمِّدَةِ طَالِباً لِهَذَا الْمَعْمُولِ، أَيْ مُؤَثِّراً فِيهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّكْلِيَّةِ وَالْإِعْرَابِيَّةِ، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ فَرَسَ «مَزَجَتْ» وَ «جَرَى» مُتَتَارِعَانِ عَلَى «بَدَمٍ».

(٢) سَوَادُ الْعَيْنِ الَّذِي فِيهِ إِنْسَانُهَا

(٣) إِنْسَانُ الْعَيْنِ هُوَ الْفَتْحَةُ الَّتِي يَمُرُّ أَنْصَوُّهَا فِيهَا إِلَى دَخْلِ الْعَيْنِ، وَتَقْصَعُ وَتَصْبِقُ فِيهَا لَشَدَّةُ النَّصْرِ.

وبـ «شي سلم» و«كاظمة» و«إضم» أمكنتهم، وهي قريبة من مكة والمدينة،
وبـ «مزج الذمع بالدم» وهو خلطة به - شدة البكاء، واستقيم عن سببها: أهو
تذكر المصوبين العائنين، أم هبوب الريح ولمعان البرق من جهتهم؟ فكان
المحاطب أنكر ذلك مع نشأته عن الحب، لإنكاره الحب، فقال له مستقيماً
استقيماً بكرياً.

٣ فما لعينيك إن قلت أكففاً همما وما لقلبك إن قلت استمق، يهم

فما، أي إن صدقت في إنكارك، فما لعينيك إن قلت لهما: أكففاً عن
البكاء، أي أتركاه، همما أي سال دمعهما، وما لقلبك إن قلت له: استمق، أي
أبق من أنت فيه، يهم أي يذهب من العشق أو غيره، وكل من هذين الأمرين
من آثار الحب. و«ما» في الموضعين مبتدأ، وما بعدها خبر ثم قال له ملئت من
الخطاب إلى العينة:

٤- أَيْخَسِبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتَمٌ مَا بَيْنَ مَنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ

أَيْخَسِبُ الصَّبُّ، أي يبطلُ العاشقُ مع كثرة نكاته أن الحب منكم أي
مستتر عن الناس، ما رادة لإفادة التقليل أي شيئاً من انكتم الحب، بين دمع
منسجم منه أي سائل وقلب مضطرم منه، أي مشتعل.

والاستفهام للتعجب الإنكاري، أي ما ينبغي للمحب أن يبطل انكتم حبه
عن الناس في حال ظهوره بانشجام دمه واضطرام قلبه.

الفصل الأول: هي الغزل وشكوى العدم

وصمير «منه» عائد إلى «المُصَنَّب» على حذف مُضَافٍ، أي مُنْسَجَم من تَمَعِ الصَّبِّ، ومضطرم منه ثُمَّ اخْتَبَجَّ على أَنَّهُ مُجِبٌّ، فَقَالَ مُخَاطَبًا لَهُ:

٥- لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرُقْ دُمْعًا عَلَى طَلَلٍ وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَنَانِ وَالْعَلَمِ

لَوْلَا الْهَوَى أَيِ الْحُبِّ مَوْجُودٌ، لَمْ تَرُقْ -فِيهِ التَّفَاتُ مِنَ الْعِيبَةِ إِلَى الْحَطَابِ-
أَيِ لَمْ تَصُبَّ دُمْعًا عَلَى طَلَلٍ مَنَسُوبٍ إِلَى الْمَحْبُوبِ، وَهُوَ^(١) مَا شَخَّصَ مِنْ
أَثَارِ الدَّارِ، وَلَا أَرَقْتَ -بِكَسْرِ الرَّاءِ- أَيِ سَهَرْتَ لِتَفَكُّرِ الْبَنَانِ وَالْعَلَمِ الْمُشَبَّهِ بِهِمَا
الْمَحْبُوبُ فِي طُولِ الْقَامَةِ وَحُسْنِ الْهَيْئَةِ وَطِيبِ الرَّائِحَةِ.

و«البنان» شجرة معروفة^(٢)، واحده «بنانة»، و«العلم» الرَّمْحُ فِي رَأْسِهِ
رَايَةً، وَلَا مَ «لَذَكَرَ» لِلتَّعْطِيلِ.

ثُمَّ تَعَجَّبَ مِنْ إِنْكَارِ الْحُبِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ، فَقَالَ:

٦- فَكَيْفَ تَنْكَرُ خَدَّ بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ عَلَيْكَ عُذُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

فَكَيْفَ تَنْكَرُ خَدًّا بِصَمِّ الْحَاءِ وَكُنْهَآ -أَيِ مَخْبِيَّةٍ، بَعْدَ مَا شَهِدْتَ أَيِ
أَخْبَرْتَ بِهِ عَلَيْكَ عُذُولُ^(٣) الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ الدَّاشِنَيْنِ عَنِ الْحُبِّ.

وَالسَّقَمُ -بِضَمِّ السَّيْنِ وَسُكُونِ الْقَافِ، وَيَفْتَحُهُمَا وَهُوَ مَا فِي النَّظْمِ- طَوَّلُ الْمَرَضِ،

(١) أَيِ الطَّلَلِ، وَجَمْعُهُ أَطْلَالٌ وَطَلُولٌ.

(٢) هُوَ شَجَرٌ مَشْبُوقُ الْقَوَامِ، لَيِّنٌ، وَرَقُهُ كَوَرِقِ الصَّعْصَعَاتِ، وَيَشْبَهُ بِهِ الْحَسَارُ فِي الطَّرْلِ وَاللَّيْلِ.

(٣) جَمْعُ «عُدَى» وَهُوَ الشَّاهِدُ الْمُضَافُ الْمَصْدُوقُ.

الريدة المرافقة شرح الجريدة المرافقة

و «ما» مصدرية، وصافه «عذوب» أي ما بعده سوية، واستعمال الجمع في التثنية سائغ وفي التثنية بغيرية ما ذكر «ستعذد» للإكثار، لأنه ربما يحسن قبل الشهادة لا بعدها، وعطف على «شهدت» قوله:

٧- وَأَثْبَتَ الْوَجْدَ حَظِي عَذْرَةً وَضَنَى مِثْلَ التَّهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمَ

وأثبت الوجد أي الحزن بسبب الحب حظي عذرة - بفتح العين - أي بكاء، بأن سال دمع العينين، وضنى عطف على «حظي» وهو المرص، والمراد هنا أثره، مثل البهار (١) - بفتح الموحدة - وهو ورد أصفر، على خديك متعلق بـ «أثبت»، والعنم (٢) - بفتح المهملة وسون - شجرة له أغصان خضراء.

و «مثل» صفة لـ «حظي» و «ضنى»، والقصد تشبيه الحظين بالعنم في لخمرة لامتزاج الشمع بالنم، وتشبيه أثر الضنى بالبهار في الصفرة، ففي كلامه لث وشر معكوس (٣).

ولما أنجلي كون المخاطب محباً، وكان هو المعتكف في المعنى، رجع عن التجرید إلى التكلّم، وأعرّف بالحب فقال:

(١) يطلق «البهار» على كل شيء حسن منور، وهو زهر طيب الرائحة يثبت أديم الوديع.

(٢) نبات أملس دائم الخضرة، أزهاره قرمية اللون ينحد منها حصاب.

(٣) اللف والنشر في البلاغة هو ذكر الأشياء المتعددة ثم ذكر ما يتصل بها على سبيل الترتيب، الأول بالأول، والثاني للثاني، وهكذا... من ذلك قوله تعالى: «يوم رُفعت جبالكم لليل والنهار» لم تكنوا فيه وتبينوا من فصله: «سورة القصص» [٧٣]، فقد جمع في هذه الآية الليل والنهار أولاً، ثم ذكر السكون لليل والابتعاد لليل للنهار على الترتيب. وقد يأتي اللف والنشر معكوساً، كما في هذا البيت: «يا ذكر لأشياء ثم يذكر ما يتصل بها، ويكن ليس على الترتيب، وذلك لعرض بلاغهم، كما في قوله تعالى: «يوم ينصر» جرة وسود وجوه فأما الذين اسوت وجوههم أكثر ثم بعد إيمانكم فتوقوا العاصم بكم تكفرون» والذين انصت وجوههم هي رحمه الله هم فيها جائفون» [سورة آل عمران ١٠٦].

الفصل الأول: في الغرر وشكوى الغرام

٨ نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى، فَارْقَنِي وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

نعم سرى إلى طيف، أي جاعني في الليل خيال من أهوى أي أحبه، فارقني أي أسهرني في ألم بعد أن كنت في لذة النوم، والحُب يعترض اللذات أي يحول ذوبها بالألم، أي يلوح من جهة ما يسأ عنه من عدم الوصل من المحبوب.

و«نعم» تكون لتصديق محبٍ بعد خبره كـ «أقام زيد»، وإعلام مُستخبرٍ بعد استخباره، كـ «أقام زيد؟»، ولوعده طالب بعد طلبه، كـ «أعطني»، وهي ههنا لأول أو للثاني. ثم استشعر لآثماً في الحب فقال:

٩- يَا لَأَمِي فِي الْهَوَى الْعَذْرَى مَعْدِرَةٌ مَنِي إِلَيْكَ، وَلَوْ أَنْصَفْتُ لَمْ تَلَمْ

يا لآلمي أي عاذلي في الهوى العذري -بدل معجمة أي الحب المفرط، المنسوب إلى بني عذرة، قبيلة من العرب يؤدي العشق بهم إلى الموت-، معذرة مني إليك -منسوب مصدرًا، أو نصب المصدر بفتح مصدر، وهو بدل من اللفظ به أي اعتذر إليك بأنني مبتلى بالحب لمن أهواه.

و«معذرة» بمعنى «عذرة» إن كانت مصدرًا، وإلا فبمعنى ما يعتذر به، كالقول للمحب للعدل: إني محب فلا تلمني، إذ المحب لا يلام، سيما الحب العذري، ولو أنصفت أي عدلت، لم تلم في الحب، لعلكم بأنه ليس اختيارياً.

ثم دعا لثأله استعطافاً ليرق له فيقبل عذره، فقال:

(١) قبيلة مشهورة باليس، مشتهر عنهم صنقهم في الحب ورقة قلوبهم

١٠- عَذْتُكَ حَالِي، لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الْوَشَاةِ، وَلَا دَائِي بِمُنْخَصِمٍ

عَذْتُكَ أَي تَعَدْتُ إِلَيْكَ حَالِي، أَي هَيْئَتِي فِي الْحُبِّ بِأَنْ يَبْتَغِيكَ اللَّهُ بِهِ، وَيُنْذِرُنِي بِقَوْلِهِ: لَا سِرِّي وَهُوَ مَا أَكْتَمَهُ، بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الْوَشَاةِ -يُضَمُّ الْوَاوُ- جَمْعُ «وَاشٍ»، أَيِ الْكَذِبَةِ الصَّاعِرِينَ فِي الْفَسَادِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَفْوَاهُ، وَلَا ذَالِي أَيِ مَرْصِي فِي الْحُبِّ بِمُنْخَصِمٍ، أَيِ بِمُنْقَطِعٍ لِعَدَمِ الْوَصْلِ مِنَ الْمَخْبُوبِ.

وَجُمْلَةُ «عَذْتُكَ حَالِي» تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ إِنْشَائِيَّةً دُعَائِيَّةً، يَخْلُوقُ حَالِيهِ لِلْعَدْلِ كَمَا قَرَّرْتُهُ، أَوْ يَعْدِمُ خُلُوبَهَا لَهُ وَأَنْ تَكُونَ حَذِرَةً، أَيِ جَاوِرَتِكَ حَالِي فَلَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَوْ أَصِيبْتُ بِهَا لَمَا عَذَلْتَنِي وَلَعَدَرْتَنِي. ثُمَّ يَنْبَغِي حَالَهُ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ بِقَوْلِهِ: «لَا سِرِّي...» إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ اعْتَرَفَ لِلْإِثْمِ بِالْحُبِّ، فَقَالَ:

١١- مَحْضَتْنِي النَّصْحُ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ مُحِبَّ عَنِ الْعَدَالِ فِي صَمَمٍ

مَحْضَتْنِي النَّصْحُ وَهُوَ الْإِشْبَادُ إِلَى الْمَصْلَحَةِ، أَيِ اخْلَاصَتُهُ بِزَعَمِكَ مِنْ شَوَائِبِ الْأَعْرَاضِ فِي لَوْمَتِكَ لِي فِي الْهَوَى مِنْ قَبْلِ أَسَدِيهِ، كَالْإِنْفَاتِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، وَالتَّطَلُّعِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَلُّعِ بِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مُحَاسِنِهِ، لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ، أَيِ سَمَاعٍ قَبُولٍ.

وَلَمَّا كَانَ عَدَمُ قَبُولِهِ النَّصْحَ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الْعَقْلِ، أَبْذَى عُدْرَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ إِنَّ مُحِبَّ -فِيهِ النَّعَاتُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ- عَنِ الْعَدَالِ -يَدَالِ مُنْجَمَةً- أَيِ التَّلَوُّمِ، فِي صَمَمٍ -خَيْرٌ «إِنْ»، وَ«عَنِ» مُتَطَلِّعَةً^(١) بِ«صَمَمٍ»، وَهِيَ

(١) التَّطَلُّعُ حَكْمٌ مِنَ احْتِكَامِ حُرُوفِ الْجَرِّ وَالظُّرُوفِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْأَرْبَاطِ الْمَتَمِّ لِلْمَعْنَى، يَعْتَدُّ بَيْنَ مَا يَشَبُّهُ الْجُمْلَةُ مِنْ ظُرُوفٍ وَجَارٍ وَمَجْرُورٍ، وَمَا قَبْلَهُمَا مِنْ أَعْمَالٍ أَوْ مَا يَشَبُّهَا.

الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام

للمجورة أي جاوزَ صَمَمَ المُحِبِّ العُدَال، قَلَا يَظِلُّ عَنَّهُمْ، فَأَمْسِكَ أَيُّهَا العَادِلُ
عَنْ نُصْحِكَ.

١٢) إِنِّي تَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التَّهْمِ

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ - يفتح الدال المعجمة اسم مضمر،
والمضمر يسكونها ومعناه اللوم، و«نصيح» بمعنى ناصح، وإضافته للبيان،
وفي عذلٍ مُتَعَلِّقٌ بِ«اتَّهَمْتُ».

والشَّيْبُ وهو ايضاص الشَّيْبِ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التَّهْمِ، وإجملة مستأنفة
أو حال لازمة من مفعول «اتَّهَمْتُ» هي المعنى، وهو الشَّيْبُ، و«هي» و«عن» متعلقات
بـ «أبعد». وعلل اتهامه له بقوله:

الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس

١٣ فَإِنَّ أَهَارِي بِالسُّوءِ مَا أُعْطِيتْ مِنْ جَهْلِهَا، نَذِيرُ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

فإنَّ أَهَارِي أي كثيرة الأمر ، وهي نفسي ، بالسُّوء أي بكلِّ قبيح ، ما أُعْطِيتْ من أجلَّ جهْلها بنذير الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ أي بياض الشَّعر ، وكبر السن ، وضعف القوى ، وكلُّ من الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ مُنْذِرٌ ، أي مُحَوِّفٌ يَقْرُبُ الموت ، المقوَّبُ للتَّوْبَةِ وسائر الطُّعَات. وإضافة «نذير» للبيان ، وهي من إضافة الصِّفة إلى الموصوف.

وعطف على «ما أُعْطِيتْ» قوله:

١٤ - وَلَا أَعْدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى ضَيْفٍ، أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرُ مُخْتَشِمٍ

ولا أَعْدْتُ أي هيأت من الفعل الجميل أي الحسن ، قرى ضيف أي إحصاء إليه ، أَلَمْ أي برز الصيف برأسي غير مُخْتَشِمٍ لي ، أي غير مُسْتَخِيبي مَنِّي في نُزُولِهِ بِرَأْسِي ، وهو الشَّيْبُ.

(١) يقول الإمام البجوري في شرحه لهذه الآية و « ذمارة » من أروع شعبي ، هي التي تأمر بالمخالعة ، فلا يزوج لها طمع إلا فطنت ، ولا يبررت لها شهوة ، لا قصتها ، فم يمسك سبيل الرشاد ، وم تمتص بنور السداد ، وقد ذكره الله في قوله تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [سورة يوسف - من الآية ٥٣] ، ومنها «الذمارة» وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيرا عند الوقوع في المعصية لمصلحة العاصي ، قال تعالى : ﴿وَلَا أَقْسَمُ بِاللَّهِ أَنِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْمَدِينَةِ﴾ [سورة العنكبوت - الآية ٢] ، ومنها «المطمئنة» وهي التي طمأنت للإيمان والتصديق بوعد الله فهي دائما موفقة للطاعة ، مصدقة بقاء الله تعالى ، وقد ذكره الله تعالى في قوله : ﴿وَيَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ [سورة العنكبوت - الآية ٢٧] .

١٦- مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايِبِهَا — كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ

مَنْ لِي بِرَدِّ أَيِّ صَرْفٍ جِمَاحٍ - يَكْثُرُ الْجِمَمُ - أَيُّ غَلْبَةٍ لَهَا، مِنْ غَوَايِبِهَا
- يَفْتَحُ الْعَيْنَ أَيُّ صِلَاتِهَا، كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ أَيُّ عَلَبُهَا لِرَاكِبِهَا، بِاللُّجَمِ جَمْعُ
«لُحَامٍ». وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ تَصْرُعُ وَاسْتِعْظَامٌ، أَيُّ مَنْ يَكْفُلُ لِي بِرَدِّهَا، تَفْصِيلاً مِنْهُ
بِمَوَاعِظِهِ الْمُنِيَّةِ وَأَسْرَارِهِ الْعَلِيَّةِ^(١)، وَ«هَـ» مُصَدِّرَةٌ.

ثُمَّ اسْتَشْعَرَ مَا يُقَالُ إِنَّهَا تُرَدُّ بِشَيْعِهَا مِنْ مُشْتَهَاتِهَا، وَلَا يُخْتِاجُ إِلَى رَدِّهَا،
فَدَفَعَهُ بِقَوْلِهِ:

١٧- فَلَا تَرَمُ بِمَعَاصِي كَثَرِ شَهْوَتِهَا — إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوِي شَهْوَةَ النَّهَمِ

فَلَا تَرَمُ أَيُّ تَطْلُبُ بِالْمَعَاصِي الْمُسْتَهْأَةِ لَهَا، كَثَرُ أَيُّ صَرْفَ شَهْوَتِهَا
إِلَيْهَا. ثُمَّ اسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّ تَعَانِيَهَا يَقْتَضِي تَمَكِّيَهَا فِي الْمَعَاصِي بِقَوْلِهِ إِنَّ الطَّعَامَ
وَهُوَ مَا يُؤْكَلُ، يَقْوِي شَهْوَةَ النَّهَمِ - يَفْتَحُ السُّورَ وَكَسَرَ انْهَاءً - أَيُّ الشَّنِيدِ الشَّهْوَةِ
إِلَى الطَّعَامِ، بِحَيْثُ لَا يَمْلَأُ بِكَثْرَةِ الْمَرَّاتِ لِإِلْفِهِ لَهُ، كَذَلِكَ يُلْفُ النَّفْسُ لِلْمَعَاصِي
بِعَوِي شَهْوَتِهَا إِلَيْهَا، وَالشَّهْوَةُ مِيلُ النَّفْسِ إِلَى شَيْءٍ.

ثُمَّ شَبَّهَ النَّفْسَ فِي اسْتِمْرَارِهَا عَلَى مَالُوفَاتِهَا بِالطُّفْلِ، فَقَالَ:

(١) يقول الباجوري: وفي هذا البيت إشارة إلى أن السلوك لا يتم إلا بشيوع عروف، لأن النفس ربما
يستحسن أمراً فيكون الهلاك فيه، فالشبح العارف كالطبيب الماهر

١٨- وَالنَّفْسُ كَانُصْفٍ إِنْ تَهَمَّلَتْ شَيْءً عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ، وَإِنْ تَقَطَّعَتْ يَنْفَطِمَ

وَالنَّفْسُ أَيِ الرُّوحِ^١، كَالطُّفْلِ إِنْ تَهَمَّلَتْ أَيْ تَتْرَكُهُ، شَيْءً أَيْ شَيْطَ وَقَوِي عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ لِأَنَّهُ لَهُ، وَإِنْ تَقَطَّعَتْ أَيْ تَقْصَلُهُ عَنِ الرِّضَاعِ، يَنْفَطِمَ.

وَأَنفُسُ إِنَّمَا تَنْفَطِمُ عَنْ مَأْلُوفَاتِهَا مِنَ الْمَعَاصِي بِرَدِّعٍ قَوِيٍّ أَوْ لُطْفٍ إِلَهِيٍّ.

١٩- فَاصْرِفْ هَوَاهَا، وَحَسَادُ أَنْ تُوَلِّيَهُ إِنْ الْهَوَى مَا تَوَلَّى^٢، يُضْمُ أَوْ يَضْمُ

فَاصْرِفْ أَيِ رَدِّ هَوَاهَا بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَحَازِرُ أَيِ اخْتِزَ أَنْ تُوَلِّيَهُ، مِنَ الْوَلَايَةِ، أَيْ تَوَلَّاهُ عَلَى أَمْرٍ.

(إِنْ الْهَوَى^(٣) مَا تُوَلَّى سِبَابَهُ لِلْمَفْعُولِ يُضْمُ بِضَمِّ الْيَاءِ - أَيْ يَقْتُلُ، أَوْ يَضْمُ بِفَتْحِهَا أَيْ يَعِيبُ، وَ«مَا» شَرْطِيَّةٌ، وَهِيَ وَمَا يَنْفَعُهَا خَيْرٌ «إِنْ» وَ«أَوْ» لِلتَّقْسِيمِ، نَحْوُ: «يَكُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى»^(٤)

(١) يقول الإمام الباجوري في شرحه: واعلم أن النفس لطيفة ربابية، وهي الروح قبل تعلقها بالأجساد، وقد خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فكانت حينئذ في جوار الحق وقربه، فتسكنهم من حضنائه بلا واسطة، فلم أمرها الحق أن تتعلق بالأجساد عرفت الفجر فحبيب عن حصرة الحق، بسبب بعدها عنه تعالى، فلذلك احتاجت إلى منكر، قال تعالى «يُنْكَرُ بَارِئُ سَخْرِ تَعَمُّ الْمُؤْمِنِينَ» [سورة الذريات - الآية ٥٥] فهي قبل تعلقها بالجسد تسمى روحاً، وبعد تعلقها به تسمى نفساً، فالاختلاف بينهما اعتباري.

(٢) وفي رواية: «ما تَوَلَّى»، على أنه سببي للدخل، بمعنى صار إليها. وكل صحيح.

(٣) قال الإمام الباجوري في شرحه لهذا البيت: وبما كان الهوى سبباً للمهلك أجمع على دمه للعارفون، ووردت بضمه الآيات والأحاديث، لأنه ينتج من الأخلاق قبايحها، ويظهر من الأفعال فسادها، ويجعل ستر مبروءة مهدوكاً، ومخل الشير مملوكاً، وقال ابن عباس: «الهوى إله بعيد من دون الله»، وتلا قوله تعالى «أَهْرَأَيْتُمْ مِنْ أَتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ» [سورة الجاثية من الآية ٢٣] وقال الشعبي: «إنما سعى هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار».

(٤) سورة البقرة - من الآية ١٣٥

٢٠- وَرَاعَهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَامِعَةٌ وَإِنْ هِيَ اشْغَلَتْ الْمَرْغَى فَلَا تُسَمِّ

وراعها أي لاحظها، وهي -أي والحالة أنها- في الأعمال الصالحة سامعة، أي سارحة تنتقل من عمل إلى آخر. وإن هي استغلت المرغى الذي ترغى فيه من الأعمال المنوبة أي وجدته خلوا، فلا تُسم بصم أوله أي فلا تنبه. في ذلك، بل أقطعها عنه، خوف العجب والرياء المهلكين، واستعملها فيما لا تمتثل فيه من أعمال أحر مطلوبة.

و«تسم» أصله «تسميم» خذفت الياء لسكون الميم، وإنما لم تغد بعد تحريك الميم لأن حركتها عارضة للقافية.

ثم استشهد على حال ما أمر برعايته، فقال:

٢١ كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم

كم خبرية بمعنى كثيرا، حسنت أي رشت، لذة للمرء -يفتح الميم وصفتها- أي الرجل، قاتلة له، في مطعم أو غيره، من حيث لم يدر أن السم -ضم السير- كائن في الدسم أي الودك^(١)، ههناك يترك الداند بالتدريج^(٢).
و«لذة» تمييز د «كم»، و«قاتلة» مفت ل «لذة»، و«للمرء» تنارعه «حسنت». و«لذة»، و«قاتلة».

(١) الودك هو الدسم، أو دسم اللحم وذهبه الذي يستخرج منه، يقال «طعم ودك» أي به ودك.
(٢) يقول الإمام الباجوري: وخص السم بالذكر لأنه قاتل، وخص الدسم بالذكر لأنه يملأ الأشياء.
فوسر ما تحته والمراد بالسم هذا حظ النفس، والمراد بالدسم هنا الطاعة... والحاصل أن النفس لها حظ في الطاعة كما أن لها حظا في المعصية، بل حظها في الطاعة أشد، لأن حظها في المعصية ضاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي.

٢٢- واغش لدسائس من جوع ومن شبع فرب مضمضة شر من التغم

واغش أي خف الدسائس الحاصلة من جوع ومن شبع، بأن لا تبالغ فيهما، ولا تستبعد الدسائس من الجوع، فرب مضمضة أي مجاعة، شر من التغم أي الحاصلة من الشبع.

و«الدسائس» جمع «دسيسة» وهي الكيد والمكر الخفي. ودسائس الجوع الحدة وسوء الخلق ونحوهما، ودسائس الشبع الكسل وغلبة الشهوة وإطلام القلب ونحوها، وكل من هذه الأمور مشوش للعبادة، وقد تحصل لعبادة مع الشبع دون الجوع، فيكون الجوع شرًا من الشبع.

و«رب» ما حرف تقييل، و«التغم» جمع «تغممة»، وهي فساد الطعام في المعدة، المؤذي فساداً إلى فسادها، لإتخال يفضبه على يفض قيل انهصاميه.

٢٣- واستفرغ الذمغ من عين قد امتلأت من المحارم، والزم حمية الندم

واستفرغ الذمغ أي أفرغه، أو اطلب مراعاة الكفاء، من عين قد امتلأت من المحارم بالنظر إليها، وهي جمع «محرّم» بمعنى حرام، و«من» لأوى للانتداء، والتاسيه للتضييع أو للتعليل، أي امتلأت العين من الآثام من أجل المحارم. والزم حمية الندم المعني به التوبة^(١)، أي الزم التوبة التي تخميك عن عقاب المحارم.

(١) روى الإمام أحمد في مسنده وابن عسجة في مسنده، يستلبيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الندم توبة).

٢٤ وخالف النفس والشيطان وأغصهما وإن هما مخضك النصح فاتهم

وخالف النفس الأمانة بالسوء والشيطان، وأغصهما فيما يأمران به وينهيان عنه، وإن هما مخضك النصح أي أخلصاه، كأن تقول لك النفس «متغنى بشهوة كذا لأتملى بها، ثم أتوجه إلى الطاعة بنشاط»، فاتهم أي فاتهمها في ذلك، لجواز أن يكون دسيسة لشراً بعده.

وبه يقوله «وأغصهما» على أنه لا يكتفى بمخالفة لهما، لأنه قد يحالفهما إلى ما يرضيان به، فاعتبر في المخالفة عصياناً لهما، وأكد قوله «وخالف» إلى آخره بقوله:

٢٥ ولا تطع منهما خضماً ولا حكماً فانت تعرف كيد الخصم والحكم

ولا تطع منهما خضماً ولا حكماً أي حاكماً، وأراد بالخصم النفس، وبالحكم الشيطان، أو العكس، فانت تعرف كيد الخصم والحكم من الناس، أي مكرهما ليوقعاك فيما يصرك، وكيد النفس والشيطان في ذلك أعظم.

وقوله «منهما» حال من بعده، و«من» للتعبير، و«لا» لتأنيده رائدة لتأكيد النهي. ولما أمر بصرف الهوى وبغيره مما مر، ونهى عن صد ذلك، حاف على نفسه أنه ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو متصف بصدق ذلك، قال:

٢٦ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ لَقَدْ نَسِيتُ بِهِ نَسْلاً لَدِي عُقْمٌ

استغفر الله أي أطلب منه الغفران، أي ستر عيوبِي، من قول بلا عمل به، لأنني أمرت بما لم أفعله، واركنبت ما نهيت عنه، وحيث أتصفت بذلك، أغني بالقول الحالي عن العمل به، لقد نسيت أي أضفت به، نسلًا أي ولدًا لذي عُقْم -بصم العاف مع صم العين، لغة في سكونها مع صم العين وفتحها فإن القول كالنسل لبقائه لصدوره عنه، فإن لم يعمل به، لا يعمل سامعه به غالبًا، فكأنه لم يقله، فسببته إليه كنسبة نسل لذي عُقْم، وهو كذب يستغفر منه.

و«عُقْم» في البيت مضمر، لا جمع «عقيم» وهو من لا يلد، لأن «ذي» بما تُصاف لمضمر أو اسم جنس، و«من» للتخدية أو للتغليل، وباء «بلا» للمصاحبة، وباء «به» للسببية، وهي ولام «لذي» متعلقان بـ «نسنت».

٢٧ أَمَرْتُكَ خَيْرَ، لَكِنْ مَا اتَّمَرْتُ بِهِ وَمَا اسْتَقَمْتُ، فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِم

أمرتك الخير أي به، لكن ما اتَّعَمَرْتُ أنا به، أي ما امْتَنَلْتُ أمري به، وما استَقَمْتُ أنا، أي ما اعتَدَلْتُ^(١)، فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِم أي فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ غَالِبًا إِلَّا إِذَا اسْتَقَمْتُ أَنَا.

و«أمر» يتعدى الاثنين، ثانيهما بالياء وقد تحذف، والاستعجالان هي البيت كما تقرر، و«ما» الأخيرة للاستفهام الإنكاري، ولام «لك» للبيان، كما في «سَقِ لَكَ».

(١) حاشاه الإمام البوصيري من لك، فقد كان من أكابر الفقهاء، غير أنه يقول ما يقول من باب التواضع وهضم النفس.

٢٨- وَلَا تَرَوْذَنْ قَبْلَ مَوْتٍ نَافِلَةً وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ، وَلَمْ أَصُمْ

وَلَا تَرَوْذَنْ^(١) أي عملت، قبل الموت المفوت للطاعات نافلة أي تطوعاً، وأكد مفهوم ذلك بقوله: وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ -كسر السين وصغرها- وَلَمْ أَصُمْ أي سوى فرض^(٢).

وخصل الصلاة والصوم بالذكر لأنهما مخض عبادة بديعة، وسكت عن الإيمان لمقارنته وجود من وُلِدَ في الإسلام، ولأنه لَا يَنْتَعِلُ به عادة.

(١) مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَتَرَوْذَوْا فَإِنْ حَذَرَ الْقَوَى﴾ [سورة البقرة من الآية ١٩٧].
(٢) يبعد على مثله الإقتصار على الفرائض، لكنه ثورعه وفدائه يشتم نفسه بعدم الإحاطة في العبادة، هيرلها منزلها عدم تواضعه لله تعالى وتكميلاً

الفصل الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٢٩- طَمَعْتُ سَنَةً مِنْ أَحْيَاءِ الظُّلَامِ إِلَى أَنْ اشْتَكَيْتُ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَدَمٍ

ظَلَمْتُ بِتَرْكِي الدَّائِلَةَ سَنَةً مِنْ أَحْيَاءِ الظُّلَامِ أَيِ اللَّيْلِ، بِقِيَامِهِ فِيهِ مُضْطَبًّا،
إِلَى أَنْ اشْتَكَيْتُ، أَيِ انْتَفَخْتُ، قَدَمَاهُ الضَّرَّ بِضَمِّ الضَّادِ أَيِ سُوءِ حَالِهِمَا مِنْ
أَجَلِ وَدَمٍ حَلَّ بِهِمَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

و«إلى» غاية لإحياء الليل، وهي بيان للواقع فلا مفهوم لها، وعطف على
«أحيا» قوله:

٣٠- وَشَدُّ مِنْ سَعْبٍ أَخْشَاءُهُ وَطَوَى تَحْتَ لِحْجَارَةٍ كَشْحًا مُتَرَفٍّ لِأَدَمِ

وَشَدُّ أَيِ عَصَبٍ، مِنْ أَخْلٍ سَعْبٍ أَيِ جَوْعٍ، أَخْشَاءُهُ أَيِ أَضْلَاعِهِ، وَطَوَى
أَيِ وَثَى مِنْ جُلْدٍ بَطْنِيهِ تَحْتَ الْحِجَارَةِ الَّتِي وَضَعَهَا عَلَيْهِ، كَشْحًا وَهُوَ مَا بَيْنَ
الْحَاصِرَةِ وَأَقْصَرِ أَضْلَاعِ الْجَنْبِ، مُتَرَفٍّ الْأَثَمُ -بِفَتْحِ الرَّاءِ نَفَتْ- «كَشْحًا»،
وَلِإِصَابَةِ لِعُظْمِيَّةٍ -أَيِ دَاعِمِ الْجُلْدِ فِي غَايَةِ-

(١) رَوَى البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الفجر، بسنده عن المغيرة بن شعبة رضى
الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماء، فقلت له: غفر الله لك ما تقدم من
ذنوبك وما تأخر، قال: (أولاً أكون عبداً شكوراً)

وشدّه الحجرَ على بطنه من الجوع وقع له في حفرِ الحنق^(١)، وحكمته
أنّه يخفّ ببرّد الحجر حرارة الباطن.

ثمّ نفع ما قد ينوهم مما ذكر أن جوعه من فاقة وقفر، لا من رفق في
الدنيا، يقوله:

٣١- وراودته الجبالُ الشمُّ من ذهبٍ عن نفسه، فأراها أيّما شممٍ

وراودته الجبالُ الشمُّ، جمع «أشم» أي العوالي، حالة كوابها من ذهب،
عن نفسه، أي طلبت منه باختيال أن يأخذها، فأراها أيّما شمم^(٢)، بزيادة «ما»
للتأكيد، أي أعرض عنها وارتمع عليها غاية الارتكاع.

و «عن» للمجورة، أي راودته أن يجاور اختيالها له نفسه، و «أي» مفعول ثانٍ لـ
«رى» قائم مقام موصوف مخدوف، أي «شمتما أي شمم».

(١) يرواه سيحدي في صحيحه كتاب المعاري، باب حرّة الحنق، بسنده عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال: إن يوم الحنق بحر عرسيت كدية شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا هذه كدية عرسيت في الحنق، فقال: أنا نازل، ثم قام ويطنه مصوب بحجر، ولبثا ثلاثة أيام
لا يشوق بؤفا، فأحد النبي صلى الله عليه وسلم معمول فصرّب، فعاد كثيبا [أي رملا] هيبا أو هيب،
فقلب به رسول الله أحد من بني النضير فقلب لأمري رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شدة ما كان
في ذلك صبره فعسك شيء، قالت عدي شعير وعادو [الأنتى من أولاد المعمر من يد منه سنة]،
فنبحت للمناق وطعنت الشعير حتى جعلها اللحم في البرمة [قدر من الفخار]، ثم جئت النبي صلى
الله عليه وسلم والمعين قد تكسر، والبرمة بين الأثافي قد كانت أن تتصيح، فقلت طعيم لي فقم أنت
يا رسول الله ورجل أو رجلا، قال: كم هو فذكرت له، قال: كثير طيب، قال: قل لها لا تترغ البرمة
ولا الخير من التكر [التكر] حتى آتي، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على
امراته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم باليهوديين ولأنصار ومن معهم، قالت هل
سألك؟ قالت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تصاعطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة
ويتكور بها أحد منه ويعرب إلى أصحابه ثم يدرج، فلم يرس يكسر الخبز ويعرف حتى سبوا وبقي
بقية، قال: كلي هذا وأهدي فين الناس أصواتهم مجاعة
(٢) الشمم: الارتكاع، وقال «شم الرجل» أي ترفع وتكبر، فهو أشم، وهي شماء، والجمع شم.

الفصل الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا مأخوذة من خبر أن جبريل قال له: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ: أُتَحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ
هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيث ما كنت، فأطرق ساعة ثم قال: يَا جَبْرِيلُ!
إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهُ، قَدْ يَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ،
فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: تَبْتَكَ اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ يَا مُحَمَّدُ^(١).

٣٢- وَأَكْدَتْ زُهْدَهُ فِيهِمَا ضَرُورَتُهُ إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى لِعِصْمٍ

وَأَكْدَتْ زُهْدَهُ فِيهِمَا أَيِ فِي الْجِبَالِ مِنَ ذَهَبٍ، ضَرُورَتُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا^(٢).
إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصْمِ أَيِ لَا تَعْتَدِي عَلَيْهَا وَلَا تَغْلِبُهَا.

و«العِصْمُ» جمع «عِصْمَةٍ» وهي قُوَّةٌ مِنَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ تَمْنَعُهُ مِنَ ارْتِكَابِ
شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَكْرُوهَاتِ^(٣). و«زُهْدُهُ» مَفْعُولٌ «أَكْدَتْ»، و«ضَرُورَتُهُ»
فِعْلُهُ، وَ«فِيهِمَا» مُتَعَلِّقٌ بِ«زُهْدِهِ».

ثُمَّ اسْتَكَلَّ عَلَى الْحُكْمِ الَّذِي نَقَاهُ، فَقَالَ:

٣٣- وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تَفْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

وَكَيْفَ لِلِاسْتِقْهَامِ الْإِنْكَارِي، أَيِ لَا تَدْعُو أَيِ تَمِيلُ، إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا أَصَالَةً،

(١) جاء في مسند الإمام أحمد بسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له.

(٢) ولا شك أن الضرورة، وهي شدة الحاجة، تؤكد الزهد في الشيء، لأن الإعراض عن الشيء وقلة الرغبة فيه، مع شدة الاحتياج إليه دليل جني وبرهان قطعي على الزهد في ذلك الشيء.

(٣) حتى لا يفعل من المباحات ما لا يليق بمقامه العالي وقدره الرفيع.

ضرورة من لولاه موجود، لم تُخرج الدنيا من العدم إلى الوجود^(١)، ببناء «تخرج» للمفعول أو للفاعل.

وحرج بقولي «أصله» دُعاه ضرورة إلى الدنيا عرصاً، كالحاجة إلى قنر القوت وسنر العوزة، أحد ما بخو ما رواه مُسلم، أنه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فإد هو يابى بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: «الجوع يا رسول الله»، قال: «وان والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما، قوما»، فقاما معه فأتوا رَحْلاً من الأنصار، وهو أبو الهيثم بن النيهان، فدء هم بعنق فيه بُسر^(٢) وتمزُر ورطت فقال: «كلوا» وأحد المُدنية^(٣)، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياك والحنوب^(٤)»، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العنق، فشربوا حتى شبعوا ورووا^(٥).

(١) قال الإمام البخاري في ذلك، وأصل في ذلك ما رواه للحكم والبيهقي، من قول الله تعالى آدم لما سألته بحق محمد أن يعفو له ما اقترفه من صورة الخطيئة، وكان رأى على قوائم العرش مكتوب «لا إله إلا الله محمد رسول الله» (سألته بحقه أن يعفو عنه، وقد عرفت لك، ولولاه ما خلقتك)، فوجود آدم عليه السلام موقف على وجوده صلى الله عليه وسلم، وأدم أبو البشر، وقد خلق الله لهم ما في الأرض وسخر لهم الشمس والقمر والنيل والنهار وغير ذلك، كما هو نص العرش، قال تعالى «خلق لكم ما في الأرض جميعاً» [سورة البقرة - الآية ٢٩]. «وسخر لكم الشمس والقمر والأنهار وسخر لكم الليل والنهار» [سورة البقرة - الآية ٢٢]، وإن كانت هذه الأمور بما خلقت لأجل البشر، وأبو البشر إنما خلق لأجبه صلى الله عليه وسلم، كمنعت السماء إنم خففت لأجله فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب في وجود كل شيء.

وقد روى هذا الحديث الحاكم في «المستدرک»، والبيهقي في «دلائل النبوة»، والأخري في «التشوية»، والطبراني في «المعجم الأوسط».

(٢) البسر هو نمر النحل قبل أن يربط، والعنق هو كل شجر له شعب، وعنق النحلة يسمى أيضاً «عنق» وجمعه «عنقوس»، قال تعالى: «ومن النحل من يطعم قوم من بنيهم» [سورة النحل - الآية ٩٩]

(٣) السكينة الكبير

(٤) ذات اللبن.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشرية، باب جواز استنباعه غيره إلى دار من يلقى برصاه ذلك ويتحققه حقيقة تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام. ورواه الترمذي كذلك في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

٣٤- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَيْنِ وَلَفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

محمدٌ حارٌّ عظيمٌ، أي الممدوح محمدٌ، ووصفه بصفته في البيتين^(١) فقال: سَيِّدُ أَهْلِ الْكَوْنَيْنِ أي الوجودين، وجود الدني ووجود الآخرة، بمعنى الموجودين فيهما، وسَيِّدُ الثَّقَيْنِ أي الإنس والجن، وسَيِّدُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ. هذا وما قبله^(٢) من عطف الحاصل على العام، للتصريح به في مقام المدح، و«من» لبيان الجنس، وهي متعلقة بـ «الفريقين».

٣٥- نَبِيُّنَا الْأَمْرَ النَّصَاحِي، فَلَا أَحَدٌ أَبْرَ فِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمْ»

نبيُّنا الأمر بالمعروف النَّصَاحِي عن المنكر من قبل الله تعالى، فلا أحد من الخلق أبرَّ -بالنَّصِب- أي أضيق في قولٍ «لَا» مِنْهُ، ولا قولٍ «نعم»، بل هو أبرُّ مِنْهُمْ، أي أضيق منهم في ذلك، والقاء لمجرد العطف، و«في» و«من» متعلقان بـ «أبرَّ»، و«لَا» الثانية زائدة لتأكيد النفي.

٣٦- هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمٍ

هو الحبيب لله الذي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ عِندَهُ، لِكُلِّ هَوٍ أي مخوف من الأهوال مُقْتَحِمٍ -بفتح الحاء- أي يقتحم فيه الحلق، أي يقعون فيه، وذلك في يوم القيامة.

(١) أي شطري البيت، ولا فالتصيدة كلها في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) أي والأبيات التي قبله، ودماً من البيت التاسع والعشرين «فَلَمَّتْ سَنَةٌ مِنْ أَحِبِّ أَضْلَامٍ...»

قال النووي^(١): «وللنبي صلى الله عليه وسلم فيه شعاعات خمس: الشعاعۃ العظمى للفصل بين أهل الموقف، وهي جماعة يدخلون الجنة بغير حساب، وفيها ناس ستنشقوا الثرى فلا يدخلونها، وفيها ناس يدخلوا النار فيخرجون منها، وفيها رفع ناس في الجنة، والمختص به منها الأولى والثانية، ويجوز أن تكون الثالثة والخامسة أيضا».

وزاد بعضهم على الخمس شعاعات أخرى، يرجع بعضها إلى بغض الحميم، كخروج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان من النار، وتخفيف عذاب بعض أهل النار، كما في عمه أبي طالب.

ومن الأهل «»، و«مفتحم» صفتان لـ «هول»، و«من» للتبعية.

٣٧- دَعَا إِلَى اللَّهِ هَامُتَمَسِكُونَ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بِخَيْرٍ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ

دعا أي طلب إلى الله أي دينه - وهو الإسلام - عبادة، كما قال تعالى له: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ»^(٢) أي إلى الإسلام، فالمُستَمْسِكُونَ بِهِ أي فالمُعْتَصِمُونَ بالنبي فيما دعاهم إليه، مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ أَيْ سَبَبٍ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ - بالفاء - أي غير منقطع، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا»^(٣).

(١) هو الإمام يحيى بن شرف النووي، الشافعي، أبو ركريا، محيي الدين (٦٣١-٦٧٦ هـ) علامة بالغة والحديث، من أشهر تصنيفه «شرح صحيح مسلم»، و«رياض الصالحين» و«الأربعون النووية»، و«تهذيب الأسماء واللغات»، و«المجموع شرح المذهب» في الفقه الشافعي، و«منهاج الصالحين»، والكثير غيره.

(٢) سورة النحل - من الآية ١٢٥

(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٥٦

٣٨ فساق لتبيين في حق وفي خلق ولم ندنوهُ في علم ولا كرم

فاق التبيين كلهم، كغيرهم المفهوم بالأولى، في خلق -فتح المفحمة أي صورة وشكل ولون وغيرها، وفي خلق -بضم المفعلة- وهو ما طبع عليه من الحصال الحميدة، ولم ندانوهُ أي يفاربه في علم ولا كرم، كما تشهد لذلك الأدلة المعروفة، وهذا إخبار بالواقع فليس فيه تنقيص لأحد من النبيين. و«لا» رائدة لتأكيد النفي.

٣٩- وكلهم من رسول الله ملتئم غرقاً من البحر أو رشاً من الديم

وكلهم من رسول الله ملتئم، أي أخذ مما أوتيته من العلم والحكمة في علم الله تعالى، غرقاً من البحر، أو رشاً -أي مصاً- من الديم، جمع «ديمة»، وهي المطر الدائم^(١).

و«من رسول الله» متعلق بـ «ملتئم»، و«من» فيه وفيما بعده للاستدعاء، و«غرقاً» مفعول «ملتئم»، و«أو» للتقسيم.

ونظر في قوله «ملتئم» إلى لفظ «كل»، وعطف عليه -نظراً لمضاهاة- قوله:

(١) قال الباجوري، وقوله «غرقاً من البحر أو رشاً من الديم» أي حال كون بعض الملتئمين مغرقاً من البحر، وبعضهم مرتشياً من الديم، فهو إشارة إلى اختلاف أحوال الملتئمين، فأولو العزم مثلاً أكثر التماساً من غيرهم، ... والمراد من البحر والديم هنا علمه وعلمه صلى الله عليه وسلم، وإنما عبر في جانب البحر بالعرف، وفي جانب الديم بالرش، لأن العرف مناسب للبحر أكثر من الديم، لأنها تجري على وجه الأرض فلا يجتمع منها ماء غالباً حتى يغترف. (٢) أي محي الجمع في لفظ «كل»، فمطع «واقيين» على «ملتئم».

٤٠ وواقفون لذيهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ

وواقفون لذيهِ أي عِنْدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، عِنْدَ حَدِّهِمْ بالكسر والإشباع أي غايته، مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أي عِلْمِ الله تعالى، أَوْ مِنْ شَكْلَةِ^(١) الْحِكْمِ جَمْعُ «حِكْمَةٍ» وهي صواب الأمر وسدادُهُ.

والغرض من البيت أن غاية ما أوتوه من العلم والحكمة مبدأ للنبي صلى الله عليه وسلم على الجميع. وناسب بـ «الشكلة» «النقطة»، ولزيادة التفهم بها على النقطة خصها بالحكمة^(٢).

والطرفان متعلقان بـ «واقفون»، ويجوز أن يكون الثاني بدلاً من الأول، و«من» لبيان «حدِّهم»، و«أو» للتقسيم.

٤١ هُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيباً بِرَأْيِ النَّسَمِ

فهو الذي تمَّ أي كملَ معناه وصورته^(٣)، أي بطنه في الكمالات وطاهره في الصعاب، ثُمَّ اضْطَفَاهُ أي اختاره حبيباً له، بِرَأْيِ أي خالق النسم جمع «نَسْمَةٍ» وهي الإنسان. و«ثُمَّ» للترتيب في الأخبار.

(١) الشكلة تُطلق على إحدى الحركات التي تصبط بها الحروف، كالكسرة والضمة وغيرها.
(٢) قال الإمام البيهقي في ذلك، وإنما خص النقطة بالعلم، والشكلة بالحكم، لأن النقطة تميز الحروف المتميزة الصور، والعلم خاصته التمييز، لأنه صفة تقضي بتمييز لا يحتمل النقص بوجه، والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع روال الأليس ولاحتلال، والحكمة فانتزها وضع الشيء في المكان الذي يستحقه على أكمل وجه لئلا يحتل النظام.
(٣) فالنسم يرجع إلى الخلق، والصورة ترجع إلى الخلق

٤٢- مُنَرِّدٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مَقَاسِنِهِ فَيُجَوِّدُ الْحُسْنَ فِيهِ غَيْرُ مُنْقِسِمٍ

مَنْزُهُ أَيُّ مُنْعَدٍّ عَنْ شَرِيكَ لَهُ فِي مَحَاسِنِهِ، مَعْنَى وَصُورَةٍ، وَ«مَحَاسِنٌ» جَمْعُ «حُسْنٍ» عَلَى عَرَبِ قَيْسٍ، أَوْ جَمْعُ «مُحْسِنٍ» بِمَعْنَى «حَسَنٍ»، فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ الْمَوْجُودُ فِيهِ، غَيْرُ مُنْقَسِمٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، لِإِخْتِصَاصِهِ بِهِ، بِخِلَافِ حُسْنِ سَائِرِ النَّاسِ فَإِنَّهُ مُنْقَسِمٌ بَيْنَهُمْ، وَمِنْهُ حُسْنُ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَمَا فِي مُسْلِمٍ: (أَعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ) ^(١) أَيُّ بَصْفَةٍ ^(٢).

و «هي محاسبه» شرعه «مُتَرَمَّه» و «شريك».

٤٣. دُعِ مَا ادْعَتْهُ النَّصَارَى فِي سَبِيلِهِمْ وَاجْهَدْ مَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاجْتَحِدْ

دَعَا أَيُّ الْبَرِّ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ادَّعَاهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ يَحْيَى ابْنِ إِسْحَاقَ - أَيُّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ قَوْلِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (١).

وَاحْكُمَ أَيِ أَقْضَ بِمَا شِئْتَ مُنْحاً - تَمِيِيزُ - أَيِ ثَنَاءٍ حَسَنٍ فِيهِ، أَيِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاتَّكَذَّكَ بِقَوْلِهِ وَاحْكُمَ، أَيِ وَخُذْ فِي مَدْحِهِ حُكْمَكَ، وَلَا

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْإِسَاءَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسَاوَاتِ وَفِرَاقِ الصَّلَاةِ؛ يَسْتَدْعِي عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، وَفِيهِ (... ثُمَّ خَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالثَةِ، فَأَمْسَتْ جَبْرِيلُ فَقَالَ: سَأَلْتُ قَالَ: جَبْرِيلُ قَدْ دَخَلَ وَمَنْ مَطْلَقًا؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَارٌ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَهَكَذَا هُوَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هُوَ الْقَارُ الَّذِي شَطَرَ الْحَصَى).

(٢) يقول الإمام البجوري في ذلك وإني لم يقتل به صلى الله عليه وسلم كما القى يوسف عليه السلام، لأن جلالته صلى الله عليه وسلم عتق بجلاله، فلم يمكن أهدأ أن يأتاه فيه حتى يقتل به.

(٣) سورة التوبة من الآية ٣٠

تَقُلْ فِيهِ إِلَى مَا هُوَ مُمْتَنِعٌ^(١)، وَقَوْلُهُ «هِيَ» تُنَارِعُهُ «حُكْمٌ» وَ«مَنْحٌ».

٤٤- وَأَنْسَبَ إِلَى ذَاتِهِ مَا شَتَّتَ مِنْ شَرَفٍ وَأَنْسَبَ إِلَى قَدَرِهِ مَا شَتَّتَ مِنْ عِظَمٍ

وَأَنْسَبَ أَيَّ أَصْفٍ إِلَى ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ، مَا شَتَّتَ مِنْ شَرَفٍ أَوْ عَلُوٍّ وَرَفْعَةٍ؛
وَأَنْسَبَ إِلَى قَدَرِهِ أَيَّ تَعْظِيمٍ مَا شَتَّتَ مِنْ عِظَمٍ، أَيَّ تَعْظِيمٍ.

و«مَنْ» فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِيُبَيِّنَ الْجِنْسَ أَوْ لِلتَّيَعِيصِ، وَخَصَّ الذَّاتَ بِالشَّرَفِ
لِمُنَاسَبَتِهَا لَهُ فِي الْعُلُوِّ، لِأَنَّهَا مُدْرَكَةٌ بِالْبَصَرِ كَالْمَكَانِ الْعَالِيِّ، وَالْقَدْرَ بِالْعِظَمِ
لِمُنَاسَبَتِهِ لَهُ فِي عَدَمِ النِّهَايَةِ وَالْإِحَاطَةِ. وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

٤٥- فَإِنْ فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ، فَتَغَرَّبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ

فَإِنْ فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ أَيَّ غَايَةٍ، فَتَغَرَّبَ -بِالنَّصْبِ جَوَاباً لِلنَّهْيِ-
أَيَّ قَبْضٍ عَنْهُ نَاطِقٌ، أَيَّ مُتَكَلِّمٌ بِفَمٍ.

(١) وَهَذَا مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ
الْأَنْبِيَاءِ مِنْ صَحِيحِهِ، يَسْتَدْرِكُ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَضَّادِ وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ قَالُ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَطْرُقُنِي كَمَا أَطْرَقَ النَّصَارِيُّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ يَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ). وَالْإِطْرَافُ هُوَ «الْمَدْحُ بِالْبَاطِلِ»، وَجَبَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْعَلَامَةُ زُكْرِيَّا الْأَنْصَارِيُّ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى
بِقَوْلِهِ «وَلَا تَقُلْ فِيهِ إِلَى مَا هُوَ مُمْتَنِعٌ»، وَفِي تَعْلِيلٍ لَهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَوْزٍ
الْمِصْقَلَانِيُّ فِي فَتْحِ الْبَارِيِّ: «قَوْلُهُ» (وَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ) فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ»
قَالَ ابْنُ الْحَوْزِيِّ: لَا يَدْرِي مِنَ النَّهْيِ عَنْ النَّسْبِ وَقَوْلُهُ لَأَنْ لَا نَعْلَمَ أَحَدًا لَدَعَى فِي بَيْتِهِ مَا أَدْعَاهُ
النَّصَارِيُّ فِي عِيسَى، وَإِنَّمَا سَجَبَ النَّهْيُ هَهُمَا يَضْهَرُ مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ مَعَادِ بْنِ جَبَلٍ لَمَّا اسْتَأْذَنَ
فِي السُّجُودِ بِهِ فَامْتَنَعَ وَتَنَهَّدَ، فَكَانَ خَشْيَ أَنْ يَبَالِغَ عِزُّهُ بِهِ هُوَ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ، فَيُنَادِرُ إِلَى النَّهْيِ تَأْكِيداً
لِلْأَمْرِ وَكُلُّ بَيْتٍ عَنِ الْمَدْحِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَالْأَفْهَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَمِعَ مَدْحَهُ
وَأَفْرَدَ.

الفصل الثالث في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

والمعنى لا حد له في الواقع ، فلا يفصح عنه اللسان، وعبر عنه بالقم، لأنه محله، ونكر «القم» بعد «تاطق» للتعميم في كل تاطق من عربي وعجمي، كظيره في ذكر (في الأرض) بعد (دائنة)، و (بجاحيه) بعد (طائر) في آية ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجاحيه﴾^(١).

٤٦- لو سبقت قدره آياته عظمًا أخيا اسمه حين يدعى دارس الرقم

لو تاسبت قدره آياته عظمًا أي في العظم، أخيا اسمه حين يدعى أي ينادى به، دارس بالنصب مفعول «أخيا» - وهو بمعنى مذروس الرقم أي لعظام البالية، وترومها زيادة في البلى، أي أخيا اسمه بتركه ذلك حين يدعى به لإحيائه، كأن يقال: «يا الله! بمحمد النبي أخي هدا» فيحب، فيكون لإحياء المذكور من آياته.

والمعنى: لو سبقت قدره في العظم آيات له، كان منها الإحياء المذكور، لأنه أعظم آية، وبه تكون الآيات مناسبة لقدره الذي هو أعظم قدر، لكن الله تعالى لم يجعل لإحياء المذكور من آياته فليست كقدره في العظم، وإن كان منها القرآن المنلو، وسيأتي قول الناظم فيه: «آيت حق من الرحم مخدنة»، وقوله في النبي: «وأنه خير خلق الله كلهم».

وانت حير بالله لا يلزم من جعل الإحياء من آياته أن تكون آياته مناسبة

(١) من لطيف ما قور في ذلك ما نقله الإمام التاجوري عن العارف بالله الشيخ علي ود، في قول الله تعالى «ويذكره خير لك من الأولى» [سورة الصحى - الآية ٤] أن معناه من اللحظة المناخرة خير لك من اللحظة المتقدمة، لأنه صلى الله عليه وسلم يرمى في المناخرة بنى كد لا ريبه عما ترقى إليه في المتقدمة.

(٢) سورة الأعمام - من الآية ٣٨

لقدّرته، (لا أن يُريد حينئذ مجموعها، إذ المناصب لعذرته بما هو إختياره فقط، ولا يُنافي ما تقرّر جعل الأحياء لعيسى عليه السلام، فتأمل) ١.

و«عظماً» منصوبٌ بنزع الحافض كما تقرّر، أو بـ«ت» تمييزٌ مُحَوَّل من الفاعل وهو «أبائته»، أو المفعول وهو «قدّره»، وإصافته «دارس» لبيان، وهي من إضافة الصفة إلى الموصوف.

٤٧- لم يمتحاً به تغى لعقـول به حرصاً علينا، فلم ترتب، ولم نهم

لم يمتحاً أي يبتلي في التكليف والتفهم بما تغيا العقول به، أي بما لم نهت لوخذه، حرصاً علينا أن لا نضل، فلم ترتب أي تشك فيما أتانا به، ولم نهم أي نحيز فيه، بل بطله أو يتيقنه.

(١) ويلاحظ هنا -كما أشار إلى ذلك الباحث في شرحه- أن الكلام في حياة سبعة للموتى حين يدعى به، وهذا كما لم يجعل من أيلته صلى الله عليه وسلم، لم يجعل من آيات عيسى عليه السلام، وإنما الذي جعل من آيات عيسى إحياء الموتى بإذن الله. ومقصود الإمام البوسيري هنا -والله أعلم- أن الله تعالى لم يعط النبي صلى الله عليه وسلم كل محبذاته في الدنيا، لأنه اخبر له المعام المحمود الذي ينفرد به عن الخلق من الأنبياء والمرسلين وشهده وصالحين وغيرهم يوم القيامة، وقد كان تلك بحكمة ربانية علوية، ولو أن الله تعالى أصلاه من المعجرات ما يتناسب مع كونه خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، لكان من بينه إحياء الموتى بذكر اسمه صلى الله عليه وسلم. وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يظهر كل الآيات في الدنيا ليقى يوم النشور الشيء الكثير. وليس ذلك في حق مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب، بل حتى في حق القرآن الكريم. يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى لَن لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [سورة الرعد - من الآية ٣١]: «يقول تعالى صريحاً أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ومعه صائر الكتب المنيرة فيه: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ أي: لو كان في الكتب المصحية كتاب يصير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتتشق، أو تكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصعب بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك»

الفصل الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

وكانَ صلى الله عليه وسلم يضربُ الأمثالَ بالمُصنوعات، ليتَّضحَ ما يخفى عن بعض الناس إدراكه، حرصاً على هدايتهم، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَيُزِيلُا عَنْكَ الْكِتَابَ قَيَّانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿لَتُبَيِّرَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢). وقول الناطم «ولم بهم» من عطف العام على الخاص.

٤٨- أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ، فَيَسِرُ يُرَى فِي الْقُرْبِ وَلِتُعَدَّ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَجِمٍ

أعيا الورى أي أعجز لحق فهم معناه، أي حاله الذي حصَّه الله تعالى به من المعارف الإلهية، والتحق بالصفات الربانية، فليس يرى في القرب والتباعد منه، فيه سبب «يرى» للمفعول وهو غير مُنفجم، أي غير عاجز عن إدراكه، والمعنى أن كل من قرب أو بعد منه، عاجز عن إدراك صفاته^(٣).

وما بعد «ليس» مصدرٌ لضمير الشأن فيها، و«فيه» متعلق بـ «مُنْفَجِمٍ»، والضمير في «فيه» وفي «معناه» للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقد شئته في عدم إدراكه، بقوله:

٤٩- كَالشَّمْسِ، تَطْهَرُ لِلْعَيْنِ مِنْ تَعْدٍ صَغِيرَةٍ، وَتُكَلِّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ

كالشمس أي هو كالشمس حالتي القرب والتباعد منها، فإنها تظهر للعَيْن من بُعد بصم العين، لغة في سُكوبها - صغيرة قدر المرأة، وهي حال من فاعل

(١) سورة النحل - من الآية ٨٩

(٢) سورة النحل - من الآية ٤٤

(٣) أي لم يُحط بوصفه والوقوف على حاله أحد.

الريدة «رابعة» شرح الردة العنقه

«تظهر»، وجملته «تظهر» مفعلة نوحه الشبه أو حال من «لشمس»، وعطف على «تظهر» قوله «وَتَكُلُّ الطَّرْفُ بِصَمِّ الشَّاءِ» أي تُغَيِّي البصر عن رؤيتها، من أهم سمات الهجرة أي من قريب منها، لأنها لكبرها جداً، تكادُ تحطفُ البصر وتغميه.

وقد قيل إنها قدر كرة الأرض مئة مرة وبنفاً وستين مرة، وقيل قدر الدنيا، فهي لا تدرك بكمالها حالتها القرب ولغد منها وإن شوهدت صورتها، كذلك النبي صلى الله عليه وسلم لا يدرك معناه وإن شوهدت صورته.

ولغد الشمس يكون حالتها طلوعها وغروبها، وقربها يكون في غير ذلك، وقيل: بغدّها واقع مطلقاً وقربها فرض. و«س» لانتداء العاية.

٥٠- وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام، تسئلوا عنه بالعلم

وكيف للاستفهام الإنكاري، أي لا يدرك في الدنيا حقيقته أي مغاهاً، قوم نيام أي غافلون محجوبون عن ذلك، تسئلوا عنه أي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أي عن النظر في حقيقته، بالعلم بصم اللام لغة في سكوها - أي قنعوا برأيه في النوم، أما في الآخرة فيظهر لكل الخلق قدره ومنزلته.

وأص «تسئلوا» تسئلوا، قلبت الواو الأولى ألفاً لتخرجها، وانفتاح ما قبلها، ثم حدثت لانتقاء الساكنين.

(١) «البَيْف» ما زاد عن العشرة وكان من واحد إلى ثلاثة، أما ما كان من أربعة إلى تسعة فهو «البصع».

الفصل الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

٥١- فَمَبْنُوعُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بِشَرٍّ وَأَنَّهُ خَيْرٌ خَلَقَ اللَّهُ كُلَّهُمْ

فَمَبْنُوعُ الْعِلْمِ أي غاية تلوح علم الخلق فيه على الجملة، أنه بشر من الناس، وأنه خير خلق الله كلهم^(١)، أي مخلوقاته من الملائكة والإنس والجن وغيرهم.

وفائدة ذكر «بشر» دفع توهم أنه ملك، بدعاء على أن خير الخلق لا يكون إلا ملكاً، كقوله تعالى حكاية عن النسوة: «مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ»^(٢)

٥٣ وَكُلُّ آيٍ أَوْ لُزْزِلَ الْكَرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ

وَكُلُّ آيٍ جمع «آية»، أي معجزة أتى الرُّسُلُ الكرامُ بها، ولا شك أنها لهم أبوارٌ يهتدى بها، فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ -الذي أوتيته من علم الله- بهم، أي هورهم الذي فصلوا به ناشيء من نوره.

و«س» لا ابتداء الغاية، والياء للإصاق، وفما متعلقان بـ «اتَّصَلَتْ». وعُلَّ ما ذكره بقوله:

(١) ينقل الدكتور زكي مبارك في كتابه «المناجح النبوية» ما أورده الرواة في شأن هذا البيت، حيث قالوا إن الإمام البوصيري لما أنشأ هذه القصيدة رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، فأنشدها بين يديه إلى أن بلغ قوله «مبنيوع العلم فيه أنه بشر»، ثم توقف ولم يتمكن من تكمال البيت، فأكماله له النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال له: «قل: وأنه خير خلق الله كلهم»، فأخرج البوصيري هذا الشطر الذي قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البيت المتقدم، كما أنشأ منه بيتاً آخر نرج المأخوذ في مجالسهم على تروييده بعد كل بيت من أبيات القصيدة، وهو: مولاي صل وسد دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

(٢) سورة يوسف - من الآية ٣١

٥٣ فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضَّلَ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرُنْ أَمْوَانَهَا لِبَنَاسٍ فِي الظُّلَمِ

فإِنَّهُ لريادة فضليه شمس فضل، هُمْ كواكبها، ونورها مستفاد من نور الشمس، يظهرن أي الكواكب، أنوارها أي الشمس للناس في الظلم، لأنهم حال عينها - كما قيل نحت الأرض، وهي أكبر منها كما مر - يهبط نورها على الكواكب بعد ارتفاعها، فإذا ظهرت لا يبقى للكواكب نور^(١).

والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر، نسحت شريعته شرائع من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٥٤ أَكْرَمَ بِخُلُقِ نَبِيِّ رَأَى خُلُقَ بِالْخُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبَشْرِ مُتَّسِمٍ

أكرم فعل أمر معناه التعجب، وفاعله بخلق نبي سريرة الباء لروما إصلاح للفظ، لأن الأمر بغير لام لا يكون فاعله ظاهراً، وسهل ظهوره كون عمله تعجب في المعنى لا أمراً أي ما أكرم خلقه عند الله، زانه خلق أي حسنة بمعنى راده حسنة، قال الله تعالى له. ﴿وَرَبُّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

بالخُسْنِ متعلق بقوله مُشْتَمِلٍ بالحجر صفة نبي، وكذا قوله: بالبشر متَّسِمٍ، أي متَّصِفٌ ببشاشة الوجه والسرور به، وهو أيضاً.

(١) دعوى الناجورني في شرحه على هذا النبي وظاهر هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم مرسى لأسم السابقه، تكن بوصفه الرسي، فهم بوابه صبي الله عليه وسلم، وبهذا قال الشيخ السبكي ومن بعده، أيضاً من قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ من آية ميثاق النبيين ما أتيناكم من كتاب وحكمه ثم جعلكم رسولا مصدقوا بما معكم لئلا تنصروهم (سورة آل عمران من الآية ٨١)

(٢) سورة الفم الآية ٤

٥٥. كالزَّهَرِ فِي تَرْفٍ، وَالتَّنْدْرِ فِي شَرْفٍ وَالنَّخْرِ فِي كَرَمٍ، وَلِذَهَبٍ فِي هِمَمٍ

كالزَّهَرِ وهو نُورُ النَّبَاتِ^(١)، في تَرْفٍ أي تَنَعُّمٍ، قَالَ أَنَسُ بْنُ رَضِي اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ: «مَا مَسَّنَتْ حَرِيرًا وَلَا دِيحًا أَلْبِنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٢)، وَكَالتَّنْدْرِ أي الْقَمَرِ لَيْلَةَ كَمَالِهِ، وَهِيَ لَيْلَةُ الرَّابِعِ عَشَرَ، فِي شَرْفٍ، وَشَرْفُهُ عَلَى مَائِثِ الْكَوَاكِبِ اللَّيْلِيَّةِ، وَشَرْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَائِثِ الْخَلْقِ.

وَكَالتَّنْدْرِ فِي كَرَمٍ، قَالَ أَنَسُ بْنُ رَضِي اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ: مَا سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ، قَالَ: فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلَمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخَافُ الْقَفْرَ^(٣)، وَمَنْ كَرَّمَ الْبَحْرَ مَا تَكْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾^(٤).

وَالذَّهَبُ أَيِ الزَّمَنِ، فِي هِمَمٍ جَمْعُ «هَمَّةٍ» - يَكْشُرُ الْهَاءَ وَفَتْحَهَا - وَهِيَ الْعَزْمُ^(٥)، وَمَنْ هَمَمَ الذَّهَبُ مَا تَكْرَهُ مُعَاوِيَةُ^(٦) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «مَنْ

(١) يُقَالُ «أَتَانِ الشَّجَرُ نُورًا» إِذَا أَزْهَرَ.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: «الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُسْنَدُ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْعَصَائِلِ، بَابُ طَلَبِ رِثَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ مِنْكُمْ».

(٣) رَوَاهُ الشُّوَيْبِيُّ: «لَا يَخَافُ الْقَفْرَ» مُعْلَمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْعَصَائِلِ، يَلْبَسُ مَا مِثْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئٌ قَلْبُ فَقَالَ لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ.

(٤) سُورَةُ التَّحْلِ - مِنْ آيَةِ ١٤

(٥) الْهَمَمُ هِيَ الْحَرَمُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْإِرَادَةُ لَهُ، وَسَبَبُ الْهَمَمِ إِلَى الذَّهْرِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ يَجْطَوْنَ الذَّهْرَ عَرَمَاتٍ وَرَادَاتٍ وَيَشْبَهُونَ السَّمْدُوحَ بِهِ فِي تِلْكَ الْعَرَمَاتِ وَالْإِرَادَاتِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَادِثَاتِ الدَّقِيقَةَ إِنَّمَا تَقَعُ فِي الذَّهْرِ فَيَتَسَبَّوْنَ بِإِيَّاهِ.

(٦) هُوَ الصَّحَابِيُّ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ حَزْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ، أَبُو سَفْيَانَ (٢١٠ ق.هـ - ٦١٠ هـ) مَرْؤَسُ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْقِسَامِ وَاحِدٌ عَظَمَاءُ الْفَاتِحِينَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَوَّلُ مِمَّنْ رَكِبَ بَحْرَ الرُّومِ لِلْعُرْوِ، اسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ سَنَةَ ٨ هـ وَتَطَمَّ الْكَتَابَةَ وَالْحَصَابَ عَجَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِ.

رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتضع». وهذه التشبيهات على عادة العرب، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم أعلى من المُنْبِيَّ به فيما نُكِّر، كما هو مَقْلُومٌ من الأخبار الصحيحة، وكما أشار إليه الناطم بقوله: «هَإِنُّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضُرَّتْهَا»، وهو أيضاً:

٥٦ كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ، مِنْ جَلَالَتِهِ — فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ

كَأَنَّهُ وَهُوَ، أي وإحالة أنه فرد، من جلالته أي عظمته، كائناً في عسكرٍ أي جيش، حين تلقاه وفي حشم، أي خدم بعضيون لقضيه. و«حين تلقاه» متعلق بـ «كأنه»، و«من جلالته» علة للتشبيه المُستفاد من «كأنه».

والقصد تشبيهه مفرداً بنفسه، مصحوباً بعسكرٍ وحشمٍ في الهيبة والوقار^(١)، وذلك في المُنْبِيَّ به أعلى.

٥٧ كَأَمَّا التَّوَلُّوْا لِمَكْنُونٍ فِي صَدَفٍ — مِنْ مَعْدِنٍ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُنْتَسِمٍ

كَأَمَّا التَّوَلُّوْا المكنون أي الدُّرُّ المصنوع في صدف، أي في غشائه، وهو فيه لكون معدنه أحسن منه في غيره، كائناً من معنٍ منطقٍ أي كلام كائناً منه، أي من النبي صلى الله عليه وسلم، ومُنْتَسِمٍ -يفتح السين- أي محل انقسام منه، وهو الشَّخْرُ، أي ما تقدّم من الأسنان.

(١) فكما أنه صلى الله عليه وسلم يكون له هيبة ووقار إذا كان في عسكرٍ وحشم، فكذلك الحال عندما يكون مفرداً بنفسه.

المصن الثالث. في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

وإضافة «معني» لليب، أي من كلامه وتُعره لحسنهما في غاية، وهذا التشبيه عكس ما جرث به عادة من تشبيه الكلام والشعر المليحين بالؤلؤ، لكون العكس لمناسب للمقام أبلغ، ففي كلامه ترق في المدح، حيث جرى في بيت «كالرق في ترق» على ما جرث به العادة، وهنا على عكسه.

و«ما» زائدة كافة، و«من» في الموضعين للاقتداء. ولما منحه في حياته بما مر، منحه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فقال:

5A- لا طيب يعدل ثرياً ضم أعظمه طوبى لمن تشق منه ومنتم

لا طيب يعدل ثرياً، أي يساوي ثرياً ضم أعظمه، من رايحتها الطيبة في غاية. قال أنس رضي الله عنه: ما شمعت عبيراً ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

طوبى لمن تشق أي شام منه يأنعه، ومنتم أي مغير منه موضع اللثام. و«طوبى» مصدر من الطيب، أو الجنة، أو شجرة فيها يسير الراكب في ظلها منة عام لا يقطعها.

وهو مرفوع بالابتداء خبر ما بعده، أو منصوب بكونه مصدراً بدلاً من اللفظ بقطعه وهو «طاب»، فهو على الثاني دعاء لمن امتتشق والنتم من تلك التزينة، واللام بعدها حينئذ للبيان، نحو «سقياً لك».

(١) رواه الشيخان، البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم وليس مسكه والتبرك بمسكه.

ومعنى طيبية تزينة صلى الله عليه وسلم، أنه أطيب ربحاً عند الله تعالى من غيرها، أو مطلقاً، لكن أحوال القبر من الأمور الأخروية لا يتركها من الأحياء إلا من كشف له العطاء من الأولياء المقربين، ويضد لا يلزم من قيام المعنى بتركة لكل أحد، لجواز انتفاء شرط أو قيام مانع، وعدم الإدراك لا يدل على عدم الإدراك، إذ انتفاء الدليل لا يدل على عدم المتكول^(١).

(١) يقول الإمام البجوري في بيان هذا المعنى: «لا يرى من المركوم لا يدرك راحة الميت، مع أنها كالجنة به، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (القبر أول منزل من منازل الآخرة، فلما روضه من رياض الجنة أو جرة من حفر النار)، ولا شك أن قبره صلى الله عليه وسلم روضه من رياض الجنة، بل أفصلها، وقد قال أيضاً عليه الصلاة والسلام: (ما بين قبري ومذبري روضة من رياض الجنة)»^١، وكل من القبر والمذبر داخل في حكم ما بينهما، أما القبر فلحضر العام الذي نكر، وأما المذبر فللقوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث (ومذبري على حوضي، والحوض من الجنة)»^٢، وإذا تقرر كون هذا المكان من الجنة، لم يبق عند العاقل المصدق بالشرعية امتراء في أنه لا طيب يملئه»

وقد كان أول من استشفق طيب تزيين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد دفنه ابتنته الرصيدة وبصعته الزكية السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، وحين استشفقته استشعرت من المعاني ما أشار إليه الإمام أبو بصير رضي الله تعالى عنه، فقالت:

ماذا علي من شئ تربة أحمد ألا وشئ مدى الزمان غوالي
صنبت علي مصائب نو أنها صنبت علي الأيام عن لوالي

ر «العرالي» جمع «غالية» وهو طيب معروف

^١ روى صدر هذا الحديث الإمام الترمذي في سننه، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باللفظ (إلى القبر أو من منازل الآخرة)، وروى تجزئه في كتاب صفة القيامة والرقائق والبرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلفظ (إلى القبر روضة من رياض الجنة أو جرة من حفر النار).

^٢ رواد البخاري في صحيحه، كتاب نصب الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فصل ما بين القبر والمذبر، بلفظ (إما بين بيتي ومذبري روضة من رياض الجنة)*

^٣ رواد أحمد في مسنده باللفظ، (إلى مذبري على حوضي).

الفصل الرابع في مولده عليه الصلاة والسلام

٥٩- أَبَانَ مَوْلَاهُ عَنْ طَيْبِ غُنْصِرِهِ يَا طَيْبُ مُفْتِحِ مَنْتَهٍ، وَمُخْتَمِمْ

أَبَانَ مَوْلَاهُ أَي كَشَفَ عَنْ طَيْبِ غُنْصِرِهِ، أَي خُلُوصِ فِي أَصْلِهِ عَنِ رَيْبٍ فِي نَسَبِهِ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَيْسَ هُنَا سَفَاحٌ، كُلُّنَا نِكَاحٌ مِنْ أَدَمَ بِلَيْنَا)^(١)، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، هُمُ الْمُرَادُونَ بِمَوْلَاهُ، أَي مَكَانَ وَلَانِيهِ سَجَارًا.

يَا طَيْبُ مُفْتِحِ وَهِيَ نُسْخَةٌ «مُيْتَدَأٌ» مِنْهُ لُغْنَصِرُ، وَمُخْتَمِمْ بِهِ الْغُنْصَرُ، فَقَدْ افْتَتَحَ بِهَاشِمٍ^(٢)، وَاخْتَمَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي مُسْلِمٍ: (بَنَ «سَهْ» اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةٍ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)^(٣).

و«ع» الْمَجَاوِزَةُ، أَي أَنَّ مَوْلَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبَّرَ طَيْبَ غُنْصِرِهِ مُجَاوِزًا كُلَّ رَيْبٍ، وَالْمُرَادُ بِالنَّدَاءِ فِي «يَا طَيْبُ» التَّعَجُّبُ، أَي يَا مُتَعَجِّبٌ تَأَمَّلْ طَيْبَ مُفْتِحِ مَنْتَهٍ وَمُخْتَمِمْ بِهِ.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وابن حجر العسقلاني في المطالب العالي، وابن عساکر في تاريخه، يستدلون عن سيدنا علي بن أبي طالب، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرَجْ مِنْ سَفَاحٍ مِنْ أَدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدْتَنِي أَبِي وَأُمِّي).

(٢) هو رأس بني هاشم وأبوهم، واسمه عمرو، ولقب بهاشم لأنه لما أصاب مكة سنة شديدة واشتد بأهلها القحط والجوع، أرسل عمرو إلى الشام فاشترى القمح وعاد به إلى قومه، فأمر بالخبز فخبز في حفرة، وأمر بالإبل فذبحت وطهي لحمها، وأطعم أهل مكة، فسمي لذلك هاشمًا.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العسائل، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم ونسبهم الحجاز عليه قيل النبوة.

٦٠ يَوْمَ تَقْرُسُ هِهِ الْقُرْسُ أَنَّهُمْ قَدْ أَبْذَرُوا سَحْلُولَ الْيُؤُسِ وَالنَّمَمِ

يَوْمَ أَي زَمَنٌ، وهو يدلّ من «مولده»، أو خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَخْذُوبٌ أَي «هو»، أي «مولده» -بمعنى زَمَنٍ وَلادَتِهِ- زَمَنٌ تَقْرُسُ فِيهِ الْقُرْسُ، وَهُمْ أَهْلُ مَمْلَكَةِ فَارِسٍ، أَي عِلْمُوا بِانْفِرَاسِ أَنَّهُمْ بِالضَّمِّ وَالْإِشْبَعِ قَدْ أَنْذَرُوا أَي أَعْلَمُوا بِخُلُوعِ الْيُؤُسِ وَالنَّمَمِ أَي الشُّدَّةِ وَالْعُقُوبَاتِ بِهِمْ

وَحُلُولِهَا مِنْ «حَلٍّ يَحُلُّ» -بِالْكَسْرِ- أَي وَجِبَ، أَوْ بِالضَّمِّ^(١) أَي نَزَلَ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ وَجِبَ أَوْ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْيُؤُسُ وَالنَّمَمُ، حَيْثُ قَارَنَ وَلادَتَهُ مَا دَكَرَهُ النَّاطِقُ بِقَوْلِهِ:

٦١ وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ كَشَمَلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَمِعِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى -بِكَسْرِ الْكَافِ وَقَفَتْهَا- آخِرِ مُلُوكِ الْفَرَسِ، أَي صَارَ إِيوَانُهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ طُلُوعُ فَجْرِهَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُنْصَدِعٌ أَي مُنْشَقٌّ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً، كَشَمَلِ أَي مُجْتَمِعِ عِدَدِ أَصْحَابِ كِسْرَى بَاتَ غَيْرِ مُلْتَمِعِ، أَي مُجْتَمِعِ.

و «الإيوان» و «الإوان» الصُّفَّةُ الْعَظِيمَةُ كَالْأَرْج^(٢)، و «إيوان» اسم «بات»، و «كشمل أصحاب كسرى» خبرها.

(١) أي «حل يحل»

(٢) الإوان والإيوان هو مجلس كبير على هيئة ضفة واسعة، لها سقف محمول من الأمام على عدة رجس فيها كبار القوم، و الأرج. بناء مستطيل مقوس للسقف

٦٢- والنار حامدة الأنفاس من أسف عليه، والنهر ساهي لعين من سدم

والنار التي يعندونها حامدة الأنفاس، أي ساكنة لا لهب لها تلك الليلة، من أسف عليه، أي من أجل شدة حرّ منهُم على انصدع الإيوان، أو على شملهم حيث تشّتت، والنهر الذي به قيامهم ساهي العين تلك الليلة، أي ساكن عن الجري من أجل سدم، أي حرّ منهُم على ذلك أيضاً.

و«النار» و«النهر» مغطوفان على «إيوان»، و«حامدة» و«ساهي» على «كشمل»، على لغة من جعل إغراب «ساهي» في جُفلة المنقوص نصيباً كإغرابه رفعاً وخراً، ويجوز رفع كل من الجزئين فيما نكر على الابتداء والخبر، ويكون كل من الجملتين حالاً، أو مغطوفاً على «جات»، كما في قوله:

٦٣- وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ورّد واردها بالعيط حين طمي

وساء ساوة، وهي مدينة بين همدان والري من مُدُنهم^(١)، أي أحرى أهلها أن غاضت بحيرتها بصاد منجمة أي نقصت، وبصاد منجمة أي غارت، والمراد ذهب ماء بحيرة ساوة تلك الليلة، وهي بحيرة عظيمة طولها سنة أميال وعرضها كذلك، فتصغيرها للتعظيم^(٢).

ورّد بالباء للمفعول وهو واردها، أي وارد بحيرة ساوة للاستسقاء من منها، بالعيط أي بما يعيطه أي يعصيه، حين طمي أي عطش ولم يجد فيها ماءً. والباء للمصاحبة، وهي و«حين» متعلقان بـ«رّد»، وباء «طمي» منقلبة عن هفرة.

(١) تقع بحيرة ساوة في محافظة المثنى جنوب العراق، وكانت ضمن مملكة فارس آنذاك

(٢) ترجع معاني التصغير في الغالب إلى التقليل والتحقير، لكنه قد يستخدم بغرض التعظيم أيضاً كما في قولهم: «فلان تويهة» تصغير «هبة»

٦٤ كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا يُلْهَمُ مِنْ بَلَلٍ خُزْنًا، وَيُلْهَمُ مَا يَنْتَارُ مِنْ ضَرَمٍ

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا يُلْهَمُ مِنْ بَلَلٍ، لِيُرَدَّ خُزْنًا، وَيُلْهَمُ مَا يَنْتَارُ مِنْ ضَرَمٍ
أَيَّ التَّهَابِ، لِيُحَرِّقَهُ وَدَهَابِهِ فِي تَحْوِمٍ^(١) الْأَرْضِ خُزْنًا أَيْضًا.

و «هَم» فِي الْمَوْصِعِينَ مَوْصُولَةٌ، وَ «خُزْنًا» حَالٌ مِنَ «النَّارِ»، أَيْ حَالَةُ كَوْنِهَا نَارٌ
خُزْنٌ، وَ «مِنْ» فِي الْمَوْصِعِينَ لِلْيَبَاسِ.

٦٥- وَالْجَنُّ تَهْتَفُ، وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَغْنَى وَمِنْ كَيْمٍ

وَالْجَنُّ تَهْتَفُ أَيْ تَتَكَلَّمُ^(٢) - مِنْ حَيْثُ لَا تُرَى - بِوِلَادَتِهِ لَيْلَتَهَا، وَالْأَنْوَارُ فِيهَا
سَاطِعَةٌ أَيْ ظَاهِرَةٌ مُرْتَبِعَةٌ أَصْأَاءَ لَهَا قُصُورِ الشَّامِ^(٣)، وَ «الْتَهَفُ» نَعْمَةُ الصَّوْتِ،
وَقِيلَ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَالْحَقُّ وَهُوَ أَمْرُ النَّبِيِّ يَظْهَرُ مِنْ مَغْنَى لِكَلَامِ قَارِنِ
وِلَادَتِهِ، وَمِنْ كَلِمِ أَيْ كَلَامِ بِهَا.

(١) جَمْعُ «تَحْوِمٍ» وَهُوَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ.

(٢) تَتَكَلَّمُ جَعْفَرٌ وَنَاسٌ مِثْلُهَا، كَمَا ذَكَرَهُ الْكَثِيرُ مِنْ كُتَّابِ السِّيَرِ، وَفِي شَرْحِهِ عَلَى «مَوْهَبِ الدُّنْيَا»
بِالْمَحْمُودِيَةِ يَقُولُ إِمَامُ الرَّافِقِيِّ فِي مَعْرِصِ حَنِيئَتِهِ عَنْ عَجَائِبِ وَلَادَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«... يَحْتَفِ بِذَلِكَ مَا سَمِعَ مِنَ الْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ جِدِّ وَلَادَتِهِ إِلَى مَجِئِهِ مِنْ تَبَشِيرِهِمْ بِهِ وَنَعِيمِهِمْ الْكَثِيرَ
وَبِنَادَائِهِمْ بِهَلَاكِهِ، يَهْتَفُونَ بِذَلِكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، أَيْ يَنَادُونَ بِهِ»

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا أَوْرَدَهُ النَّجَاشِيُّ فِي شَرْحِهِ، أَنَّهُ حِينَ وَلَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَتَفَ هَاتِفٌ عَلَى
الْحُجُورِ، وَهُوَ جَبَلٌ بِالْمَعْلَاةِ بِمَكَّةَ، وَهُوَ يَنْشُدُ وَيَقُولُ:

فَأَقْسَمُ مَا أَتَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبُتْ وَلَا وَلَدْتَ أَتَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدُهُ

كَمَسَا وَلَدْتَ رَهْرِيَّةَ ذَاتِ مَخْرَجٍ مَجِيئَةُ لَوْحِ الْقَدَاسِ مَسَاجِدُهُ

(٣) رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ الْكَبِيرَةِ أَنَّ أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: (لَمَّا وَلَدْتُهُ حَرَجَ مِنِّي
مَرٌّ أَصْأَاءَ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ . . .).

٦٦- عَمُوا وَصَمُّوا، فَإِغْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ يُسْمَعْ، وَسَارِقَةُ الْإِنْدَرِ لَمْ تُشْمِ

عموا وصموا -بشائهم للفاعل أو للمفعول- أي الكفار عن ذلك، حيث جحدوا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وإغْلَانُ أي إظهارُ البشائر المذكورة به صلى الله عليه وسلم لَمْ يُسْمَعْ لَهُمْ سَمَاعُ قَوْلٍ، وقَوْلُ يَعْصِمُ «لم تسمع» ابتداءً للتعريف، حاثت صمير المصاف فيه بطر، للمصاف فيه صحيح لكن لا حاجة الله، وإبرقة أي لوامع الإنذار به لَمْ تُشْمِ لَهُمْ -بالمعجمة- أي لَمْ يَنْطُرُوهَا لعدم النغاتهم إليها، يُقَالُ: «شام فلان تروق» بطر إليه

٦٧- مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنْ دِينَهُمْ الْمُعَوَّجُ لَمْ يَقُمْ

من بعد، تارعه «عمو» و«صموا»، ما -مضريّة- أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ الَّذِينَ عَمُوا وَصَمُّوا كَاهِنُهُمْ، أي كُلُّ كَاهِنٍ، لَهُمْ، لَمْ عَلِمُوهُ بِأَنْ دِينَهُمْ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ الْمُعَوَّجُ، لَمْ يَقُمْ -بالياء- للمفعول أو للفاعل أي لا قيام له مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم، بل يَكْسَرُ وَيُضْمَحَلُّ.

٦٨- وَبَعْدَ مَا عَابَسُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهَبٍ مُنْقَصَةٍ وَفَوْقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ضِمٍ

وأحبروا بذلك أيضا بعد ما عابَسُوا أي شاهدوا في الأفق -يَكْسَرُ- لداء نعه في صنها أي السماء، مِنْ شُهَبٍ، جمع «شهاب» وهو شُعْلَةٌ تَارٍ ساطعة

(١) من شكك بكون كهانة أي أخبر بالعيب، فالكهنة هو من كان له تابع من الجن يحبره بأمر السماء، لاشرافه للسمع، لكن يريد على الكلمة الحق مائة كذبه.

مُنْقَضَةٌ أي سارلة على الشياطين المُسْتَرْقِينَ لِلسَّمْعِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ^(١)،
ثِيْلَةٌ وَلَادَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَقَّ^٢ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنْمٍ أَيْ حَبَسَ
الصَّغْمَ فِي سُقُوطِهِ بِتِلْكَ اللَّيْلَةِ.

و «يَعْدُ» مَجْرُورٌ عَطْفًا عَلَى «يَعْدُ» قَبْلَهُ^(٣)، أَوْ مَنْصُوبٌ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّهِ، وَ «مَا»
فِي الْمَوْضِعَيْنِ مَوْصُولَةٌ، أَوْ نَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ، وَ «مَنْ» بَيَانٌ لَهَا، فَيَمْتَنِعُ كَوْنُ «مَا»
مَصْدَرِيَّةً

وَفِي إِبْخَارِهِمْ بَأَنَّ دِيْدَهُمْ لَمْ يَقُمْ سَعْدٌ عَلَيْهِمْ مِنْ كُفَّائِهِمْ بِصِحَّةِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدَ مُعَايِنَتِهِمْ مَا ذَكَرَ غَايَةَ التَّقْبِيحِ عَلَيْهِمْ.

٦٩ حَتَّى غَذَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِنْهُمْ مَنِ الشَّيَاطِينِ، يَقْفَسُو إِثْرَ مَنْهُمْ

وَلَمْ تَزَلِ الشُّهُبُ تَنْقَضُ عَلَى الشَّيَاطِينِ، حَتَّى غَذَا -بَعِيْنُ مُعْجَمَةٍ- أَيْ
ذَهَبَ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ وَهِيَ السَّمَاءُ، مَنْهَزِمٌ فَاعِلٌ «غَذَا»، وَوَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: مَنْ
الشَّيَاطِينِ، يَقْفُو أَيْ يَنْبَغُ إِثْرَ مَنْهَزِمٍ مِنْهُمْ، وَهَلُمَّ حَرَّ^(١) لَتَدْبُعِ الشُّهُبِ الْمُنْقَضَةِ
عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَعْهَدْ الْكُفَّارُ إِذْ دَاكَ مِثْلُ ذَلِكَ.

(١) يَهْوَى الْبَاهُوْرِيُّ فِي تَرْجِيحِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيَاطِينِ كَانُوا يَسْتَرْقُونَ لِلسَّمْعِ مِنَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا، فَلَمَّا وَلَدَ
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنَعُوا مِنْ ثَلَاثِ سَمَاوَاتٍ بِسُقُوطِ الشُّهُبِ عَلَيْهِمْ، وَلَمَّا وَلَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِيْدٌ
فِي حُرَاسَةِ السَّمَاءِ، لَمَنَعُوا مِنْ مَنَازِلِهَا بِسُقُوطِ الشُّهُبِ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةٍ، لَكِنْ كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي مَقَاعِدَ قَرِيبَةٍ
مِنَ السَّمَاءِ بِحَدِيثٍ يَسْمَعُونَ صَرِيْفَ الْأَكْلَامِ، أَيْ صَوْتِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَكْتُبُ مَا يَفْعَلُ فِي الْعَالَمِ،
رَبِّ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ بِالشُّهُبِ أَيْضًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ «وَأَنْ
كَرَّ بَعْدَ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ هُنَّ يَسْمَعُ الْآلُ بِحَدِّ لَهُ شَهَابًا رُفْعًا» [سُورَةُ الْجِنِّ - آيَةُ ٩]

(٢) أَيْ مِثْلُ، وَالْمَعْصُودُ شَبِيْهُ بِسُقُوطِ الشُّهُبِ مِنَ السَّمَاءِ بِمَعْرُوفِ أَصْدَادِ الْأَرْضِ وَانْكَسَافِهَا، مِثْلَةُ مَوْلَدِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٣) أَيْ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ.

(٤) تَعْبِيرٌ يَقَالُ لِامْتِدَاعَةِ الْأَمْرِ وَتَتَوَالِهِ.

٧٠ كَانَهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ بُرْهَةٍ أَوْ عَسْكَرُ نَالِحِصَى مِنْ رَاحَتِيهِ رُمِيَ

كَانَهُمْ أَيِ الشُّبُطَيْنِ، هَرَبًا أَيِ فِي حَالِ هَرَبِهِمْ، أَيِ فِرَارِهِمْ مِنَ الشُّبُهِ،
أَبْطَالُ أَيِ شَجَعُنْ أَبْرَهَةَ بِمَصْرَفِهِ لِلْوَرِّ وَهُوَ سَيْفُ سَهْمِهِ وَالرَّاءُ مَلِكُ الْيَمَنِ،
بَنَى بَصْنَعَاءَ كَيْسَةَ لِيَصْرِفَ إِلَيْهَا الْحَاحَ، فَأَخَذَتْ رَجُلًا مِنْ كِنَانَةٍ فِيهَا، وَلَطَّحَ
قَلْبَهَا بِالْعَدَةِ^(١)، فَحَلَفَ أَبْرَهَةُ لِيَهْذُمَ الْكُفَّةَ، فَجَاءَ بِجَيْشِهِ وَهَيْلٍ عَظِيمٍ مَعَ
أَفْيَالٍ إِلَى مَكَّةَ، فَحِينَ تَهَيَّؤَ لِلدُّخُولِ وَلَهْذُمِ غُشْيِ عَلَيْهِمْ وَوَلُّوا هَارِبِينَ، وَرُمُوا
بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْآفِيلِ^(٢)﴾
إِلَى آخِرِهِ.

وعطف على «أبطال» قوله: أَوْ عَسْكَرُ بِالْحِصَى مِنْ رَاحَتِيهِ، أَيِ بَاطِنِي
كَفَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ، أَيِ الْعَسْكَرُ، فَهَرَبَ مِنْ رُمَى النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ فِي غَزْوَةِ بَذْرِ^(٣) وَفِي غَزْوَةِ حُذَيْنِ^(٤). و«بالحصى»، و«من
راحتيه» مُتَعَلِّقَانِ بِـ «رُمِيَ»، وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ لـ «عَسْكَرُ»، وَحَاصِلُ الْبَيْتِ أَنَّهُ شَاءَ
الشُّبُاطَيْنِ فِي هَرَبِهِمْ وَتَبَيَّنَ شَمْلُهُمْ، يَأْبُطَالُ أَبْرَهَةُ أَوْ بِالْعَسْكَرِ الْمَذْكُورِ.

(١) أَيِ الْعَنْطَلِ.

(٢) سُورَةُ الْفِيلِ آيَةُ ١.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ وَإِسْنَادُهُ كَثِيرٌ فِي تَفْسِيرِهِمَا بِسَنَدِهِمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ،
رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، يَعْنِي: يَوْمَ بَذْرِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعَصَايَةُ، فَتَنْ
تَحِدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ خَذْ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَارْمِ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ
التُّرَابِ، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ، فَكَفَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَحَدٌ إِلَّا أَصَابَ عَيْنَهُ وَمَنْخَرَهُ وَفَمَهُ تُرَابٌ مِنْ ذَلِكَ
الْقَبْضَةِ، فَوَلُّوا مُدْبِرِينَ.

(٤) يَرْوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ، يَابُ فِي غَزْوَةِ حُذَيْنٍ، بِسَنَدِهِ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ
عَدِيٍّ الْمُطَّلَبِ، قَالَ، شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُذَيْنٍ قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكُفَّارَةِ ثُمَّ قَالَ أَنْتَهُمُ وَرَبُّ مُحَمَّدٍ، قَالَ فَذَهَبَتْ
أَنْظَرُ هَذَا الْقِتَالِ عَلَى هَوْنَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا رَأَيْتُ أَرَى حَدَثَهُمْ
كَثِيرًا وَأَسْرَهُمْ مُدْبِرًا.

٧١- شَدَّاهُ بَعْدَ تَسْبِيحِ بَيْطَنِهِمَا — نَبَذَ الْمَسِيحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

نَبَذَ بِهِ أَي رَمَى بِالْحَصَى، بَعْدَ تَسْبِيحِ مَنْهُ بَيْطَنُهُمَا أَي فِي بَاطِنِ الرَّاحَتَيْنِ، نَبَذَ الْمَسِيحُ مِنْ أَحْشَاءِ حَوْبٍ مُلْتَقِمٍ لَهُ، وَهُوَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْبُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾^(١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَقِيمٌ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿هَاضِمٌ فِي الْأَطْلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وَالْقَصْدُ تَشْبِيهُ نَبَذِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَصَى الْمَسِيحِ الْعَسْكَرَ الْهَارِبَ مُنْكَسِرًا، نَبَذَ اللَّهُ تَعَالَى يُونُسَ الْمَسِيحَ مِنْ بَطْنِ الْحَوْبِ حَيًّا، فِي أَنْ كَلَاهُمَا حَارِقٌ لِلْعَادَةِ، وَكَأَنَّ السَّاطِمَ وَقَفَ عَلَى تَسْبِيحِ الْحَصَى الْمَرْمِيِّ، أَوْ قَصَدَ التَّسْبِيحَ الثَّابِتَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ «بَعْدَ تَسْبِيحِ» أَي مِنْ جِنْسِ الْحَصَى فِي مَحَلِّ آخِرٍ.

وَقَوْلُهُ «شَدَّاهُ» مُضَدَّرٌ مُنْصَوِّبٌ بِ «رَمَى»^(٤) كَ «جَلَسْتُ قُعُودًا»، أَوْ بِمُخَذَوْبٍ أَي «بَعْدَ نَبَذٍ»، فَيَكُونُ بَدَلًا مِنَ اللَّفْظِ بِفَعْلِهِ، وَ«الْأَحْشَاءُ» جَمْعُ «حَشَاءٍ» وَهُوَ مَا انْصَمَّتْ عَلَيْهِ الصُّلُوعُ، وَ«مِنْ» مُنْعَفَةٌ بِ «بَعْدَ التَّسْبِيحِ».

(١) سُورَةُ الصَّافَّاتِ آيَةُ ١٤٢

(٢) أَيِ الْيَمِّ نِهَاجَةُ الْآيَةِ ١٤٥ مِنْ سُورَةِ الصَّافَّاتِ. ﴿فَوَلَّى أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُونَ * فَنِدَعُهَا بِالْمَرْأَةِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾

(٣) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ آيَةِ ٨٧

(٤) فِي قَوْلِهِ «مِنْ رَاحَتَيْهِ رَمَى» فِي الْبَيْتِ قَبْلَ تَسَابُوتِ (رَقْمِ ٧٠)

الفصل الخامس: في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم

٧٢ جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ لِأَشْجَارٍ سَاجِدَةٌ تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمٍ

جاءت لدعوته أي ندائه، الأشجار ساجدة أي خاضعة، تمشي إليه على ساقٍ بلا قدم يُعِينُهَا عَلَى التَّمَشِّي^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٢)، والشجر ما له ساق، والنجم ما لا ساق له من النبات. و«بلا قدم» مُتَعَفِّقٌ بـ «تمشي»، أو صفة لـ «ساق»، و«بلا» للمصاحبة.

٧٣ كَأَنَّمَا حَالَ مِنْ قَاعِلٍ «تَمْشِي»، وَ«مَا» كَافَّةٌ^(٣)، سَطَرَتْ أَيْ خَطَّتْ الْأَشْجَارُ سَطْرًا لَهَا، أَيْ لِلَّذِي كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِاللُّقْمِ سَفْحَ الدِّمِّ وَالْعَافِ أَيْ وَسَطَ الطَّرِيقِ.

كأنما حال من قاعل «تمشي»، و«ما» كافئة^(٣)، سطرَتْ أي خطَّتْ الأشجار سطرًا لها، أي للذي كتبت فروعها من بديع الخط باللقم سفح الدم والعاف أي وسط الطريق.

(١) رقد عبد القاسمي عاصم في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم» ص ٤١٠ عنوانه «في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته» ص ٤١٠ س ٤١٠ في ذلك من أحاديث.

(٢) سورة الرحمن - الآية ٦

(٣) أي تكف «بين وأخواتها» عن العمل وتجعلها مهيأة للشحول على العمل.



«زبد» الزائفة شرح البردة العسفة

و «من» بيان لـ «ما»، واصافة «بديع» للبيان، وهي من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الخط المبتدع، لكونه لم يَغْهَدْ مِنْهُ لِمِثْل الأشجار، شئ آثار قُرُوعها في الأرض المفيدة للخيرات بالخط الدال على اللفظ المعيد للمعاني.

روي أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم آية، فقال له: قل لنفك الشجرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يذعوك، فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وحلقها، ففطعت غُروفا، ثم جاءت تجرُ غُروفا، حتى وقعت بين يديه صلى الله عليه وسلم، فقالت: لسلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: فمرها فلترجع إلى منبتها، فأمرها فرجعت، ودلت غُروفا في منبتها، فسئوت هي^(١).

و «سَطُرًا» مفعول به لـ «سَطُرْتُ» إن كان بمعنى المسطور، وإلا فمصدر مؤكدة له، وهو مفعول مطلق، وعليه يُقرأ «سَطُرْتُ» مُحَقَّقًا، إذ مصدره مُشَدَّدًا «سَطِصِر» لا «سَطَر»، و «لما» متعلق بـ «سَطُرْتُ».

٧٤- مثل الغمامة أفي سائر سائرة تقيه حرّ وطيس للهجير حمي

مثل بالنصب حال تلبية، وبالرفع خبر مبتدأ مخدوف، أي مجيء الأشجار لدعوته مثل الغمامة، أنى أي متى أو أين سار أي مثل الغمامة، و «أنى سار» طرقت لقوله سائرة -بالنصب- حال من «الغمامة».

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة، ومما ورد أيضا في جنة الأشجار لدعوته ما رواه الدارمي في مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين، وقد تخاصب بالنجم من فعل أهل مكة من قريش، فقال جبريل عليه السلام: يا رسول الله، هل تحب أن أريك آية؟ قال نعم، فطُر إلى شجرة من ورائه، فقال -ع بها- فدعا بها، فجاءت وقامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع، فأمرها فرجعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حسبي حسبي.

الفصل الخامس: في معجزاته صلى الله عليه وسلم

نقيه الغمامة حرّ وطيّس أي تتور^(١)، للهجير أي نصف النهار الحار، حمي صفة لـ «وطيبين»، يقال «حمي لوطيبين» إذا اشتد الحرّ، والمعنى: نقيه حرّ الشمس في الهجير^(٢). قال بعضهم: ولا تخلو أفاض البيت من تعقيد، وليست على يقين من ثبوت هذا البيت في الرواية^(٣).

(١) التّور هو الفرن يخير فيه، والوطيس: حفيرة يوقد فيها، والمراد بها سخارة المحرقة.
(٢) يشير هذا البيت إلى حادثة نظيل الغمامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي أوردتها ابن سعد في الطبقات الكبرى كما يلي: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فلما ذلّ الركب بصرى من الشام وبها راهب يقال له يحيى في صومعة له... حتى إذا كان ذلك انعم ونزلوا مدبراً قريباً من صومعته قد كانوا يدورونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم، وإنما حملته على دعائهم أنه رآهم حين طلّوا وغيمته بطل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين الغرم حتى ذلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أطلت تلك الشجرة وأخصلت أغصان الشجرة على النبي صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها، فلما رأى يحيى ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به، وأرسل إليهم فقال: إني قد سمعت لكم ضعفاً يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا يخلو منكم صغيراً ولا كبيراً حر ولا عبداً فرب هذا شيء تكرموني به، فقال رجل من بني لؤي لشأب بن يحيى: ما كنت تسمع بنا هذه فما شأنك اليوم، قال قريشي أحبب أن أكرمكم ولكم حق، فاجتمعوا إليه وطلعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحفلة سنة، ليس في القوم أصغر منه في رجالهم تحت الشجرة، فلما نظر يحيى إلى القوم فلم ير للصفة التي يعرف ويجده عنده، وجعل ينظر ولا يرى للغمامة على أحد من القوم ويزاها منخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال يحيى: يا معشر قريش لا يتلفن منكم أحد عن طعامي، قالوا: ما نطعم أحد إلا غلاماً هو أحدث القوم سناً في رجالهم، فقال: ادعوه فليحضر طعامي لما أفرج أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أبي أمة من أنفسكم... فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: والله إن كل من كان في القوم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والممامة تسير على رأسه، وجعل يحيى يلحظه لحظاً شديداً، ويظهر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق ثلاث والعمرى ألا أخبرتي عما أسألك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تملكني بالثلاث والعمرى والله ما أبصمت شيئاً بخصمي، قال: فبأنه ألا أخبرتي عما أسألك عنه، قال: سئلي عما بدت، ففعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فوافقه ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيّه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده، قال ففعل موضع الجاتم، وقالت قريش: إن محمد عبد هـ الراهب لخير، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يمدح على ابن أخيه، فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا العلام منك، قال أبو طالب: النبي، قال: ما هو بذاك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: هانئ أخى، قال: ما جعل أبوه؟ قال: فلك وأمه جعلي به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريباً، قال: صنعتك أرجع بابن أخيك إلى بلدك واحذر عليه لليهود،... فإنه كان لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتابنا وما رويّا عن آياتنا،... ورجع به أبو طالب فما خرج به سعراً بعد ذلك خوفاً عليه.

(٣) تشير المخطوطات الكثيرة المتوافرة للبردة إلى ثبوت هذا البيت في رواية القصيدة.

٧٥ أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشِقِّ إِنْ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نَسْبَةٌ مَبْرُورَةٌ الْقَسَمِ

أَقْسَمْتُ أَي حَلَفْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشِقِّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّةً، وَإِنْ زَعَمَ الْكَفَّارُ أَنَّهُ سِحْرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَتَرَبُّبُ السَّاعَةِ وَأَنْشَقُّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ﴾^(١)، وَحَوَاتِ الْقَسَمِ (إِنْ لَهُ) أَي لِلْقَمَرِ لِمُنْشِقِّ (مِنْ قَلْبِهِ نَسْبَةً) أَي شَبَهًا نَقَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي انْشِقَاقِ كُلِّ مَنِيهَا مَرَّتَيْنِ^(٢)، (مَبْرُورَةٌ الْقَسَمِ) صِفَةُ «يَمِينٍ»^(٣)، دَلَّ عَلَيْهَا «أَقْسَمْتُ».

وَالْقَسَمُ بِالْقَمَرِ جَائِزٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَشَقَّقَ﴾^(٤)، وَيُخْتَلَفُ أَنَّهُ أَقْسَمَ بِمُضَافٍ مَحْذُوبٍ، أَي «رَبِّ الْقَمَرِ»^(٥).

(١) سورة القمر - الآيتان ١ و ٢

(٢) تَكَرَّرَتْ جَابِلَةُ شِقِّ الصَّدْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هُوَ ثَابِتٌ فِي الرُّوَايَاتِ، وَكَانَتْ الْمَرَّةُ الْأُولَى وَهُوَ صَغِيرٌ عِنْدَ مَرَضَعَتِهِ حَلِيمَةَ، لَيْشَأَ مَبْرَأًا عَمَّا عَلَيْهِ الصَّبِيحَانِ مِنَ الْبَيْعِ الْهَرِيِّ وَالشَّيْطَانِ، وَشَقَّ ثَانِيَةً عِنْدَ بُلُوغِهِ عَشْرَ سِنِينَ، لِيُجِلَّ مِنَ الْمَرَاهَةِ وَهُوَ عَلَى تَكْمُلِ الْأَحْوَالِ، وَعِنْدَ مَبْعَثِهِ لِيَتَقَبَّلَ الْوَحْيَ عَلَى أَوَّلِ حَالَاتِ الْكَمَالِ، ثُمَّ فِي لَيْلَةِ الْمَعْرَاجِ، وَقَدْ تَعَلَّمَهَا الْعَلَمَةُ لِأَجْهَرِي فَقَالَ: وَشَقَّ صَدْرُ الْمُصْطَفَى وَهُوَ فِي دَارِ بَيْتِ مَعْدٍ بِغَيْرِ مُذِيئَةٍ كَشَفَهُ وَهُوَ ابْنُ عَشَرَ، ثُمَّ فِي لَيْلَةِ مَعْرَاجٍ، وَعِنْدَ الْبَعْثَةِ

(٣) أَي صِفَةُ تَكْلِمَةٍ مَقْدَرَةٍ هِيَ كَلِمَةُ «يَمِينًا» دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ «أَقْسَمْتُ».

(٤) سورة الانشقاق - الآية ١٨

(٥) وَمَا وَرَدَ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، مُقَيَّدٌ بِمَا إِذْ كَانَ الْحَالِفُ مُعْتَقِدًا فِي الْمَحْذُوفِ بِهِ الْإِلَهِيَّةَ، وَالذَّبِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَلْفُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَفْظًا - بِغَيْرِ اللَّهِ، فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ صَحِيحِهِ (أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ)، وَفِي شَرْحِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: إِقْوَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ) لَيْسَ هُوَ حَلْفًا، بَلْ هُوَ كَلِمَةٌ جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ تَدْخُلَهَا فِي كَلَامِهَا، غَيْرَ مُقَصِّدَةً بِهَا حَقِيقَةَ الْحَلْفِ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا يَرِدُ لِمَنْ هَمَّ بِحَقِيقَةِ الْحَلْفِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنَ عَصَمِ الْمَحْذُوفِ بِهِ وَمَصَاهِاتِهِ بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَجَاءَ فِي عَنِ الْمَعْنُودِ شَرْحُ سَدْرِ أَبِي دَاوُدَ إِقَالَ الْعَيْنِي وَنَحْوَهُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْحَلْفِ بِإِلَهِ أَنْهُ يَقْصِدُ تَعْظِيمَ الْمَحْذُوفِ بِهِ، وَحَقِيقَةَ الْعِظَمَةِ مُخْتَصَةً بِاللَّهِ جَلَّتْ عِظَمَتُهُ فَلَا يُصَدَّقُ بِهِ غَيْرُهُ، وَهَكَذَا حُكِمَ بِغَيْرِ الْأَنْبَاءِ مِنَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ، وَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَفْلَحَ وَأَبِيهِ فَهِيَ كَلِمَةٌ تَجْرِي عَلَى النَّاسِ لَا يَقْصِدُ بِهَا الْيَمِينَ.

وَمَنْتَهُ الْحَلْفُ بِاللَّهِ وَالْمَصْحَفِ وَالْكِتَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ نَحْوِ اعْتِقَادِ الْوَهْبِيَّةِ فِي الْمَحْذُوفِ بِهِ، فَهِيَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ حِينَ صَدَقَ أَي لَفْظًا مِنْ أَيٍّ مَوْجُودٍ، يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ فِي ضَوْءِ عَقِيدَتِهِ، نَعْلِيًا لِحَسَنِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ، الَّذِي لَا يَجُورُ شَرْعًا إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِهِ.

٧٦- وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

وما منصوب بفقر، أي «ذكر»، أو مخبر عن عطفا على «العر»، وجوابه معتر مما قبله. و «م» بمعنى «من»، أي وأذكر من، أو وأقسمت بمن حوى أي جمعه الغار من خير ومن كرم، يعني النبي صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله تعالى عنه، ووصفهما بما هو من شأنهما، وجوز يفضيهم إبقاء «ما» على معناها، وحمل الخير والكرم على صفات النبي صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله تعالى عنه، أي وما جمعه الغار من الخير والكرم الصابر من النبي صلى الله عليه وسلم والصديق^(١).

والغار ثقب في جبل ثور بأسفل مكة، ولما فيه حين أراد الهجرة ثلاث ليالٍ مختلفين من الكفار، حتى انقطع طئتهم لهما، وقد جاءوا حول الغار ينظرون، فأعماههم الله تعالى، كما ذكره البطم بقوله: وكل طرف أي صبر من الكفار عنه، أي عن المحوي عمي. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: نظرت إلى أقدامهم فوق رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أنصرتنا، فقال: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^(٢).

وجملة «وكل طرف» إلى آخره حال من «ما»، و«عمي» يختل العقل والإسم، وسكن الياء على الأول لوقف، ورثها على الثاني له أيضاً على لغة.

(١) جاء في شرح الباجوري: والمراد بالخير بالأخلاق الحميدة، وبالكرم الجود، فهم متغابرون تغاير الأعم والأخص، وكل منهما لكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أبي بكر، ويحتمل أن الأول للنبي صلى الله عليه وسلم، والثاني لأبي بكر، وعلى هذا فإنما خصه بالكرم لأنه أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمه وماله.

(٢) رواه الشيخان: البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة براءة، باب قوله (ثاني اثنين إذ هما في الغار)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٧٧- فالصديق في الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرم

فالصديق أي النبي مُنالفة، أو هو على حذف مُضاف، أي قد «هو لصديق» وهو في الغار، والصديق أي أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وهو فيه، لم يرما بكسر الراء أي لم يترجأ، يقال: لا أرى مكابدة، أي لا أترجأ. وأصل «يرما» يرمي، بياء بعد الراء، خذفت تبعاً لحذفها في إسناده إلى المفرد، لأنقاء الساكنين، والمعروف في مثله إثبات الياء، وزايد قوله في التثنية «فأستقيما»^(١).

(وهم) أي الكفار، يقولون ما بالغار من أرم يفتح الهمزة وكسر الراء أي أحد، نظراً إلى جوم الحمام حول الغار، ونسج العنكبوت على قمه، كما أشار إليه الناظم بقوله:

٧٨- ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على غير البرية لم تنسج ولم تحم

ظنوا أن الحمام، وظنوا أن العنكبوت على خير البرية أي الحلق، لم تنسج - يفتح التاء وكسر السين أو ضمها - أي لم تنسج العنكبوت على خير البرية، ولم تحم، أي لم تترك الحمام حولها، فهي كلمة لف وشتر معكوس^(٢)

وسبب ما ذكر أن هذين الحيوانين لا يألوان عمارنا، فمتى أحسنا بإنسان فرأ منه، ولم يعلم الكفار أن الله تعالى يحفظ من يشاء من عباده بما يشاء من خلقه، كما أشار إليه الناظم بقوله:

(١) سورة يونس - من الآية ٨٩

(٢) حيث بدأ في الشطر الأول بالحمام وشئ بالعنكبوت، ثم في الشطر الثاني بدأ بما هو متعلق بالعنكبوت أولاً، وشئ بما هو متعلق بالحمام. رجع معنى ألف والنشر في هامش البيت رقم ٧

٧٩ وقاية الله أغنت عن مصاعفه من الدروع، وعن عاب من الأطم

وقاية الله، أي حفظه له بهذين الضعيفين جداً من عدوه العظيم عدداً ومداً، أغنت أي كفت عن مضاعفة من الدروع سبال مهملة أي عن الدروع المضاعفة، وهي المنسوجة حلقين حلقين، تلبس للحفظ من هذا العدو، وعن عاب أي مرتفع من الأطم بصم الهمة والطء أي الخصون، يتحصن فيها من هذا العدو الذي أخرج النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿فَعَدَّ بَصَرَهُ أَلَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) و «من» في الموصعين للبيان.

ثم استأنف الناطم ما اتصل به من قبل النبي، فقال:

٨٠ ما سامني الدهر ضيماً وستجرت به^{*} إلا ولت جواراً منه لم يضم

ما سامني الدهر، هذا على عادة العرب، أو هو على حذف مضاف، أي «أهل الدهر»، أي ما ظلمني أحد منهم ضيماً^(٢)، واستجرت به^(٣) صلى الله

(١) سورة التوبة - من الآية ٤٠

(٢) وفي رواية أخرى للبيت: «ما سامني الدهر يوماً واستجرت به»

(٣) الضيم هو الظلم والإدلال، يقال «ضيم فلان» أي ظلمه

(٤) لفرس الله عز وجل ﴿لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ضَلُّوا لَعَسَوْا جَاوِدًا فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ فَيَسْتَفِزُّ لَهُمْ نَرَسْرَبًا وَمَا أَصَابَهُمْ فِي يَوْمِ ذَلِكَ شتًا وَلَا صيفًا وَلَا هَرَمٌ وَلَا نَجاسٌ يَسْتَوُونَ﴾ [سورة النساء - من الآية ٦٤]، وفي تفسيره: «الآية يعرب بن كثير وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصديق في كتابه «الشمس» الحكاية المشهورة عن بعثي قال كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت به يقول ﴿لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ضَلُّوا لَعَسَوْا جَاوِدًا فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ فَيَسْتَفِزُّ لَهُمْ نَرَسْرَبًا وَمَا أَصَابَهُمْ فِي يَوْمِ ذَلِكَ شتًا وَلَا صيفًا وَلَا هَرَمٌ وَلَا نَجاسٌ يَسْتَوُونَ﴾ والله جنتك مستغفر لذي، مستغفر لك إلى ربي ثم أثنأ يقول:

يا خير من دعيت بالفرع أعظمه قطاب من طيبهن الفخ و لاكم

نفسى الفداء لغير أنت مأككه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فعليقتي عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال يا عبي الحق لأعرابي، فيشروه أن قد ظهر له.

البردة الواقعة شرح البردة العائفة

عليه وسلم، إِلَّا وَتَلَّتْ أَيُّ أَصْنَتُ جَوَارًا سَكَنَ الْحِمِّ وَصَمُو أَيُّ قُرْبَا مَنَّهُ، لَمْ يَضْمُ أَيُّ لَمْ يُحَرِّ، بَلْ يُحْتَرَم.

ثُمَّ عَطَفَ عَلَى جُمْلَةٍ «مَا سَأَلَنِي» قَوْلُهُ:

٨١- وَلَا التَّمَسُّتُ عَنِ الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمٍ

وَلَا التَّمَسُّتُ، أَيُّ طَلَبْتُ غَنَى الدَّارَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَالِكَايَا فِي الْأُولَى وَالسَّلَامَةِ فِي الْآخِرَى، مِنْ يَدِهِ أَيُّ نِعْمَتِهِ وَتَقْصُصُهُ، إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى سَفَحَ الْبَرِّ وَنَعُصَرَ أَيُّ أَحَدْتُ الْعَطَاءَ، مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمٍ سَفَحَ الْبَرِّ أَيُّ مَطْلُوبٍ مَنَّهُ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزِدُّ سَائِلًا، كَمَا ثَبِتَ فِي الصَّحِيحِينَ، وَبِيَدِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١).

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيَانِ صَعَابَةِ آخِرِ النَّبِيِّ، فَقَالَ:

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابَ الشُّبُوحِ وَكِتَابَ النَّبِيِّ، بِسَنَدِهِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ مَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ: أَتَكْرَهُينَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ أَشْمَلَةٌ مَسْرُوحٌ فِي حَاشِيَتِهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَسِيتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسَوْتُهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَحَرَّحَ إِلَيْهَا وَزَيَّنَهَا لِزَوْجِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسَبِيهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَسَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنَتْ سَائِلَتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَطَمَتْ أَنَّهُ لَا يَزِدُّ سَائِلًا، فَقَالَ لِلرَّجُلِ: وَاللَّهِ مَا سَائِلَتُهُ إِلَّا لَتَكُونَ كَفَى يَوْمَ أَمْرَتِ، قَالَ سُهَيْلٌ فَكَانَتْ كَقَوْلِهِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابَ الْفَصَائِلِ، بِسَنَدِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا مِثْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى لِإِسْلَامِ شَيْءٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَعَطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ اسْلَمُوا، فَمِنْ مُحَمَّدًا يَعْطِي عَطَاءً لَا يَحْشَى الْعَاقَةَ

(٢) فَهُوَ الْقَاسِمُ عَنْ اللَّهِ عَطَاءَهُ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ: (إِنَّمَا أَنَا قَاسِمُ اللَّهِ يَعْطِي)، وَكَدَّ عَطَاهُ اللَّهُ مَقَاتِلَ خِرَاشِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ: (إِنِّي لَمُقَاسِمُكُمْ وَأَنَا مُشَاهِدُكُمْ بِبِيِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَأَنْظُرَ إِلَى حَوْضِي الْأَيْ، وَإِنِّي لَأَعْطِيْتُ خِرَاشَ مَقَاتِلِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهُ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تَشْرَكُوا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَاصَرُوا بِيَهَا).

٨٢- لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمْ

لا تنكر الوحي -وفي نسخة لا تنكروا الوحي- من رؤياه له في النوم^(١)، إنَّ له قلباً إذا نامت العين منهُ، لم يَنَمْ أي قلبه^(٢)، وهو مهبط الوحي في النوم ولبقطة.

و«من رؤياه» متعلق بـ «تنكر»، أو حال من «الوحي»، و«من» للتبعية، أو للإبتداء، وقيل بمعنى «هي»

٨٣- وَذَاكَ حِينَ يُلَوِّغُ مِنْ بُيُوتِهِ فَلَيْسَ يُنْكِرُ فِيهِ حَالٌ مُخْتَلِمٌ

وذاك، أي رؤياه الوحي في النوم، حين أي زمن يلويغ كائن من نبوته، أي وصوله إليها، وقد بُني على رأس أربعين سنة من عمره، وهي حدُّ مبدأ النبوة، فليس الشأن ينكرُ -سببه للمفعول- فيه، أي في الرأس المذكور حالٌ مختلم، من رؤيا الوحي في النوم^(٣).

و«من نبوته» صفة لـ «يلويغ» كما أشرت إليه، وقيل متعلق بـ «يلويغ»، والمختلم البالغ.

(١) روى البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: (أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا، إلا جاءت مثل فلق الصبح...).

(٢) روى البخاري في صحيحه، كتاب التهجئة، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وغیره، بسنده عن أم المؤمنين عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال لها: (يا عائشة إن عيني تنملان، ولا يَنَمْ قلبي).

(٣) والمعنى أن الوحي له صلى الله عليه وسلم أثناء نومه، كان في ابتداء النبوة، وكان حينها قد بلغ الأربعين، وحكمة ذلك الاستئناس بملاقاة الملك في النوم ليطبق ذلك في البقطة بعد، فلم يستأنس بذلك أثناء في البقطة.

۸۴۔ تَنَارَكَ اِلَهُ مَا وَخَّيْتُ مُمْتَنِبٌ وَلَا لِيْ عِىْ غَيْبٍ مِّمَّنْ

تبارك الله تعالى، ما وحى بمقتسب لأحد يعمل، بل بفضل من الله تعالى، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا نبي على غيب أي غائب عنه بقوله بمقتهم، لعظمته بجماعا، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَلِيلٍ﴾ أي بمقتهم، والباء في الموصعين رادة للتأكيد التلوي.

٨٥- كَمْ أَتَرَأْتُ وَصْلاً لِلْمُسْ رَاحِطُهُ وَأَطْلَقْتُ أَرْبَاً مِنْ رِقَّةِ اللَّمَمِ

فَمَ خَبْرِيَّةٌ بِمَعْنَى كَثِيرًا، أَهْرَأْتُ أَيِ شَعْتُ، وَصَبَأٌ سَكْرُ الصَّوْدِ أَيِ مَرِيضًا،
بِالْفُسِّ أَيِ بَسْبِئِهِ، رَاحَتُهُ أَيِ بَطْنُ كَفِّهِ الْمُبَارَكَةِ^٣، وَأَطْلَقْتُ أَيِ رَاحَتِهِ، أَرِيَا

() قال الاسم الفلاني في جوده التوحيد

ولو لم تكن بيده مكتسباً
بذل ذاك فصل الله يؤتوه لمن

(٢) سورة التكوين - الآية ٢٤

(٣) يشير بذلك الإمام البوصيري إلى ما ورد من إيراد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرجسي، من ذلك ما رواه ثور الدين الحلي في سيرته المشهورة باسم «السيرة الحلبية»: وجاء عن قتادة رضي الله عنه قال: كنت يوم أحد أنقى الشهاج بوجهي عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءني سهمٌ حرجبٌ منه حذقتي، فلَمَّا رها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفي ثمعتُ عبده، وقال: «اللهم وقل قاتله كما وقي وجه بوبك»، ثم رُدَّ صلى الله عليه وسلم برأحه الشريفة. فكتب حمر عبده وأشدُّهم بصراً، وروى أن قتادة قال: يا رسول الله، إن لي امرأة أحبها، وأحسب أن ترائي تقدرني، فيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رفعت حذقتي في كفي، وقال لي: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت رنحتها ووصوت الله تعالى لك، فقلت: يا رسول الله، إن الجنة لجزاء جميل وعطاء ثمين، وإني مغرمٌ بحب النساء وأحبابهن يفلحن أمور فلا يترتبني، ولكن ترُدُّها وتسلل الله تعالى لي الجنة، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وودَّهم إلى موضعها، وقال: «اللهم اكسه جمالا وقله كما وقي وجه نبيك بوجهه» فكانت أحسن عبيده، وكذب لا ترمي إلا ربه الأخرى وحكي عن ابن عبد البر أن رجلاً من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، فقال له: ممن الرجل؟ فقال:

قُرِئت بكف المصطفى أحسن الرد
فيا حسن ما عجز وبيا حسن ما رد

الفصل الخامس: في معجزاته صلى الله عليه وسلم

يكسر الرء - أي محتاجاً إلى الخلاص من ريقه اللثم يكسر الرء ويكون الموحدة وفتح اللام والميم أي عروة الجور.

روي^(١) أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بانن لها به جنون، فمسح بيده المباركة صدره، ففزع ثعبان بالملته والمهمة - أي فزع، فخرج من فيه^(٢) مثل الجرو الأسود. ومن ريقه منعلق. «ضفت» أو بمحذوف كما نقر، و«من» للاستثناء.

٨٦- وَأَخِيْتُ السُّنَّةُ الشَّهْبَاءُ دَعْوَتُهُ حَتَّى حَكَتْ عُرَّةً فِي الْأَعْصَرِ الدُّهْمِ

وأخيت السنة الشهباء، يعني الغلبة المطر لعلة يبص الأرض فيها نعم النداء على سواده بالنبت، فهي ناسنية إلى انياص مينة أحيته دعوته المباركة باشعيا^(٣)، حتى حكّت أي شابهت تلك السنة عُرة أي بياصا، في الأعصر جمع عصر وهو الزمن، أي في الأزمنة الدهم - بضم الدال والهاء - جمع «أدهم» وهو الأسود، والمعنى في الأزمنة السود لشدة خضرة الزرع فيها.

(١) رواه أحمد في مسنده، والدارمي في سننه، يستديهما عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أي من فمه، وهو اسم من الأسماء الخمسة.

(٣) روى البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، أبواب الاستسقاء، بسنده عن أنس بن مالك: (أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً وقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يعطينا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، وقال: اللهم أعطنا اللهم أعطنا، قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء سحابة، ولا قوقعة، وما بيننا وبين سلع من بيت، ولا دار، قال: فطلعت سحابة مثل الترس، فلم توسط السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال أنس: فلا والله ما رأينا الشمس مثلاً، قال: ثم دخل رجل من تلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يعطينا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، فقال: اللهم حولنا، ولا عيننا، اللهم على الأكام، والطرب، ويطون لأودية، ومنايت الشجر، قال: فأقبلت، وخرجنا نمشي في الشمس).

حتى يرى أنه أسود من إحصائها، وتلك النسبة أخصب منها، حتى كأنه غرة فيها.

وغرة كل شيء أخصه، والشهباء من قولهم «غرة شهباء» أي فيها شعر يخالف بياضها. و«حتى» غاية، متعلق بـ «أحييت»، و«في الأغصان» متعلق به، أو صفة لـ «غرة».

٨٧- بعارض حاد أو خلت البطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم

بعارض، متعلق بـ «حكك» أو بـ «أحييت»، أي صحاب^(١) جاد بالمطر الكثير، أو خلت أي إلى أن طبت البطاح، جمع «بطحاء» أو «أنطح»، وهو الوادي المتسع المشتمل على حصب، بها سيب^(٢) -فتح السين- أي جري من اليم، أي البحر، أو بها سيل من العرم، أحداً من قوله تعالى: «فأرسلنا عليهم سيل العرم»^(٣) وهو واد.

وجملة «بها سيب» في موضع المفعول الثاني لـ «خلت»، و«أو» عقابا للتخيير، وقتلها بمعنى الواو ويعني «إلى» كما أشرفت إليه، وشاهد قول الشاعر:

لأستمنهن الصخب أو أنرك الصبي *** فما انقادت الآمال إلا لصابر

و«من» هي الموصعين للابتداء.

(١) ومنه قوله تعالى: «فلما رآه عارصاً مُنْقَبِلً أَوْدَيْتَهُمْ فَلَمَّ هَذَا عَارِضٌ مُعْطِرًا» [سورة الأحقاف - من الآية ٢٤]

(٢) مصدر «صاب» بمعنى «ذهب حيث شاء»، ويأتي أيضاً بمعنى العطش والممرور ونحوه.

(٣) سورة سبا - من الآية ١٦

الفصل الخامس: في معجزة هسي الله عليه وسلم

ولت كال قوله «أحييت السنة الشَّهَاءَ دَعْوَتُهُ» مُسْتَلْزَمًا كَوْنُ تِلْكَ الْآيَاتِ ظَاهِرَةً لِكُلِّ أَحَدٍ، لَأَنَّ عَمُومَ الْقَحْطِ وَالْخَصْبِ، لَا يَخْتَصُّ بِأَحَدٍ، فَدُرِّ الدُّعَاءِ أَنَّ الْمُنْكَرَ لَهَا قَالَ لَهُ: كُفْ عَنَّا مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي لَا نُسَلِّمُهَا، فَأَجَابَهُ تَقْدِيرًا بِأَنَّهُ كَيْفَ يَلِيقُ بِكَ إِنْكَارُهَا وَقَدْ ظَهَرَتْ ظُهُورًا بَيِّنًا وَصَرِيحًا، بِقَوْلِهِ:

الفصل السادس: في شرف القرآن

٨٨ دَعْنِي وَوَضِّعِي أَيْتَ لَهُ ظَهَرْتُ ظُهُورُ كَبَرِ الْقُرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ

دَعْنِي أَيِ انْزَعْنِي أَيُّهَا الْمُنْكَرُ، وَوَضِّعِي أَيِ ذَكِّرِي آيَاتِ مَعْمُولٍ «وصف»
لَهُ، ظَهَرْتُ ظُهُورُ نَارِ الْقُرَى سَكُنَرِ الْعَافِ أَيِ الصَّبَافَةِ، لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ أَيِ
جَبَلٍ مُرْتَفِعٍ، لِجَلْبِ الضَّيْفَانِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ، الَّذِي هُوَ غَايَةُ فِي
الظُّهْرِ.

و«وَضِّعِي» مَعْطُوفٌ عَلَى يَاءِ «دَعْنِي» أَوْ مَفْعُولٌ مَعَهُ، وَ«لَهُ» صِفَةٌ لـ «آيَاتٍ»،
أَوْ مُتَعَلِّقٌ بـ «ظَهَرْتُ»، وَ«لَيْلًا»، وَ«عَلَى عِلْمٍ» مُتَعَلِّقٌ بـ «ظُهُورٍ».

٨٩- فَالذُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ

فَالذُّرُّ أَيِ اللُّوْلُؤِ الْمَعْلُومِ حُسْنُهُ، يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ فِي سَلَكِهِ، وَلَيْسَ
أَيِ الذُّرِّ، يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ.

كَذَلِكَ آيَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي ظَهَرَتْ غَايَةً فِي الظُّهْرِ، لَا
يَزْدَادُ ظُهُورُهَا بِذِكْرِهَا، وَيَزْدَادُ حُسْنُهَا بِتَطْمِئِنِّهَا لَدِي هُوَ كِتْمُ الذُّرِّ، كَهَذَا التَّطْمِئِنِّ،
بِحَالَافِ تَطْمِئِنِّهَا عَلَى غَيْرِ تَطْمِئِنِّ الذُّرِّ، كِتْمُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَذْحِ، فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهَا
حُسْنًا لَكِنْ لَا يَنْقُصُ قَدْرُهَا، الَّذِي هُوَ أَعْلَى مِنْ قَدْرِ الذُّرِّ.

الفصل السادس: في شرف القرآن

وقوله «حَسَنًا» مفعول «وردان»، أو تمييزٌ مَحْوَلٌ عن فاعله، وَجُمْلَةٌ «هو مُنْتَظَمٌ» حالٌ من فاعله أيضاً، و«قَدْراً» مفعول «يُنْقَضُ»، أو تمييزٌ مَحْوَلٌ عن فاعله، و«غير مُنْتَظَمٍ» حالٌ من فاعله أيضاً.

٩٠- فَمَا تَطَوَّلَ آمَالِي الْمَدِيحِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ

فَمَا تَطَوَّلَ آمَالِي الْمَدِيحِ منصوبٌ سرع الحذف إلى ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق أي كثرة الصفات، التي كُلُّ مِنْهَا خُلُقٌ أي طَبِيعَةٌ لَهُ، وَالشَّيْمُ جَمْعُ «شَيْمَةٍ» وهي الخُلُقُ، وعصف المرادف سائح لاختلاف اللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾^(١).

و«ما» لأولى للاستفهام الإنكاري، وهو مُبْتَدَأٌ حَبِيزٌ «تَطَاوَلَ» بصم الواو، وَالتَّطَاوَلُ أَنْ تَمُدَّ عُنُقَكَ قَائِمًا لَتَنْتَظِرَ إِلَى بَعِيدٍ، والمعنى: إِنَّ تَطَاوَلَ آمَالِي بِالْمَدِيحِ إِلَى صِفَاتِهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهَا جَمِيعُهَا.

و«إلى» مُتَعَلِّقٌ بِ«تَطَاوَلِ»، و«ما» مَوْصُولَةٌ صِلَتُهَا «فِيهِ»، و«مِنْ كَرَمٍ» مُتَعَلِّقٌ بِالصِّلَةِ، و«هن» للبيان أو التبعيض.

٩١- آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرُّخْمِ مُحَدَّثَةٌ قَدِيمَةٌ، صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ

آيَاتُ حَقٍّ، بِالرَّفْعِ مُبْتَدَأٌ حَبِيزٌ مُقَدَّرٌ قَبْلَهُ أَيْ «مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا»، وَيَنْصَبُ

(١) وفي رواية أخرى لليب: «فَمَا تَطَاوَلَ آمَالِ الْمَدِيحِ».

(٢) أي منصوب بحذف حرف الجر، والتقدير: «فَمَا تَطَاوَلَ آمَالِي بِالْمَدِيحِ» فصحت الهم.

(٣) سورة البقرة - من الآية ١٥٧

بذل من «أياب له» . وما بعد «المبسا أو النسل إلى قوله «وكالميزان معلقة»^(١) صفات له، يجعل «صفة الموصوف بالقدم» بكرة وما بين الصفات من منطقتها، من الرخمن أي كائنة منه، مُحَدَّثَةٌ لفظاً قديمةً معنى، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلَّا أَنِصَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَنُونَ﴾^(٢)، وفي نسخة بدل «مُحَدَّثَةٌ» «مُحْكَمَةٌ»، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ أَكْثَمُ أَيَّامٌ﴾^(٣)، «صفة الموصوف بالقدم، وهو الله تعالى».

٩٢- ثُمَّ تَقْتَرِنُ بَرَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا عَنْ مُعَادٍ، وَعَنْ عَادٍ، وَعَنْ إِرَمٍ

لم تَقْتَرِنِ بَرَمَانٍ مِنْ حَيْثُ مَعْنَاهَا^(١)، والداء للملاصقة أو للمصاحبة، وهي تُخْبِرُنَا، حال من فاعل «تَقْتَرِنُ»، عن المعاد أي عود الخلق بعد إعدامه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْدُو أَلْحَقَ تَمَّ بَعِيدُهُ﴾^(٢)، وعن عاد^(٣) وهم قوم هود، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾^(٤) إلى أخرى، وعن إرم وهي عاد أخرى^(٥)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾^(٦) إلى أخرى، و«عن» في المواضع الثلاثة للمجاورة.

(١) في البيت رقم ٨٨ فيما سبق.

(٢) في البيت رقم ١٠٢ هم يلى.

(٣) سورة الأنبياء - الآية ٢

(٤) سورة هود - من الآية ١

(٥) لأنها قديمة معنى كما مر في البيت السابق، والبرمان حادث، ولا يقرن القديم بالحادث، لأنه لو قرن به لكان حادثاً.

(٦) سورة الروم - من الآية ٢٧

(٧) قبيلة سميت باسم أبيها عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.

(٨) سورة هود - من الآية ٥٣

(٩) قيل أنها نسبت إلى اسم جد إرم بن سام بن نوح، وقيل إن «إرم» اسم أولادهم ويكنونهم.

(١٠) سورة القمر - الآية ٦

٩٣- دَامَتْ لَدَيْنَا هَافَاتُ كُلِّ مُعْجَزَةٍ مِنَ السَّيِّئِ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ

دامت أي لايات، وهي الفاظ القرآن التي وقع بها الإعجاز، لدينا أي عندنا، هافت أي علت شرفا كل معجزة كائنة من الثبيين، إذ جاءت ولم تدم أي تستمر، فإن معجزة كل نبي غير نبي تنفسي بموته، بخلاف معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم^(١).

٩٤- مُحْكَمَاتٌ فَمَا يُنْفِقِينَ مِنْ شَيْءٍ لَدِي شِقَاقٍ وَمَا يَنْعِينَ مِنْ حَكَمٍ

محكمات -فتح الحاء والكاف المشددة- أي الآيات التي حكمها الله تعالى، أي أتى بها نواب حكم ودالة على الحكمة أي الحق، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْوَحْيِ﴾، أي ذي الحكمة، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي.

فما -الفاء سببية- يُنفِقِينَ من شَيْءٍ جمع «شبهة»، لذي شقاق منعق بـ «يفيق» أو بـ «شبه»، أي لصاحب مخالفة للحق، وما يبعين أي يطلن من حكم -فتحتين- أي حاكم يحكم على مخالف الحق، لظهور براهينها عليه^(٢).

و «ما» في الموصعين نافية، و «من» كذلك رائدة.

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ بَرُّنَا الْكُفْرَ وَإِنَّا لَهُ لَمُصْطَوُونَ﴾ [سورة الحجر - الآية ٩]، وروى البخاري في كتاب فضائل القرآن من صحيحه، بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ب من أنبياء بني لا أعصى ما مثله أمر عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة).

(٢) سورة يس - الآيتان ١ و ٢

(٣) يقول ابن السكيت الأقفهسي في شرحه، أي الآيات لا تطلب حكما يحكما بينها وبين يعارضها بالشبهة، لأنها في نفسها حكمة واضحة البراهين.

٩٥ ما حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ أَغْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ

ما حُورِبَتْ أي عورِصَتْ قَطُّ بِلْ ادْعَى الإِتْيَانُ بِمَثَلِهَا، إِلَّا عَادَ أي رَجَعَ مِنْ حَرْبٍ سَفَحَ الْمُهْمَلِينَ أي شَدَّةٍ، وَحَقِيقَتُهُ سَلْبُ الْمَالِ وَيُلْزَمُ الْمَسْلُوبُ مِنْهُ الشَّدَّةُ، أَغْدَى الْأَعَادِي أي أَشَدُّهُمْ عِدَاوَةً مِنْ مُحَارِبَتِهَا إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَامِ سَمَحَتَيْنِ أي الْاسْتِسْلَامَ وَالْإِنْقِيَادَ، أي رَجَعَ مُسْتَسْلِمًا مُنْقَادًا لِعِجْزِهِ عَنْ مُعَارَصَتِهِ، وَعَدَمِ إِيْمَانِهِ بِالْجَانِي (١) بِهَا عِنَادًا.

و«الأعادي» جمع «عدو»، قال تعالى: ﴿وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ آلَ سُلَيْمٍ﴾ (٢)، و«س» لِلْإِبْتِدَاءِ، و«أغدى» فاعل «عاد»، و«إليها» متعلق به، و«ملقي» خبره، لأنه من أحوال كَانِ.

٩٦ رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْعَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ

رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا أي ضَرَفَتْ فَصَاحَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا عَنِ الْإِتْيَانِ بِمَثَلِهَا (٣)، رَدَّ الْعَيُورِ أي كَرَّدَ كَثِيرَ الْفَيْزَةِ، يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ جمع «حرمة»، أي عَنِ حُرْمِ الْعَيُورِ كَامْرَأَتِهِ وَأَحْنَتِهِ، وَتِلْكَ أَشَدُّ الرَّدِّ.

(١) فاعل «جاء».

(٢) سورة النمل - من الآية ٩٠.

(٣) يقول البيهقي: كما وقع بمسألة الكذاب، حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة، وأراد أن يأتي بقرآن يشبه القرآن، فقال في معارضة سورة الماعنات: «والطاحنات طحن، والعجبات عجن، والخايرت خيرا»، فافصح لا يارك الله فيه.

٩٧ - تَهَبُ مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ

لها أي لتلك الآيات معاني كموج البحر في مدد^(١) أي زيادة، وذلك لا غاية له، وفوق جواهره في الحسن والقيم للارتفاع بها أكمل الارتفاع. و«عرو» مغطوف على «كموج»، وبضبطه لازم على الطريقة، وإن كانت مجازية هنا، كما في قوله تعالى: «وَقَوْفٌ كُلِّ دَيْ عِلْمٍ عَظِيمٍ»^(٢).

وإذا كانت معاني الآيات كموج البحر في مدد:

٩٨ - فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُغْضَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْتَارِ بِالسَّامِ

فلا تعد ولا تخصي أي تحفظ عجائبها جمع «عجبية»، وهي الشيء العديم النظير، والإضافة للبيان، أي العجائب التي هي معاني الآيات، ولا تسام أي توصف على الإكثار لها الذي لا غاية له، بالسام لها يفتح الهنزة أي بالملالة، لحسن تلك المعاني، والياء للإصاق.

٩٩ - قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ طَفِرْتُ بِخَدِّ اللَّهِ فَغَنِمْتُ

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا - أي بدال مرته ياء ساكنة للوزن - أي مرث بها وأطمأنت مما يسنووها، يقال «قَرَّتْ عينه» أي سرث بدمعة الفرح ولم تسخن

(١) إشارة إلى قوله تعالى: «قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَحْرُ مَدَدًا لَكُنَّامَاتُ رَبِّي لَعَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَعَدَّ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جُنُودًا مِثْلَهُ مَعْدًا» سورة الكهف - الآية ١٠٩.

(٢) سورة يوسف - من الآية ٧٩

بدفعة الحر، فقلت له، أي لها رنّها؛ والله لقد ظفرت، أي فرت بحيل الله، أي بما يوصلك إلى دار كرامته، فاعتصم أي استمسك به، بأن تعمل بمقتضاها.

١٠٠- **إِنْ تَتْلَاهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَظَى أَطْفَاتُ حَرِّ لَظَى مِنْ وَرْدِهَا الشُّبْمُ**

إن تتلها أي الآيات خيفة أي خوفاً، أو خائفاً من حرّ نار لظى أي جهنم، أطفات عتك بالآيات حرّ لظى بحيث لا تصل إليك، من أجل وردها أي مورد الآيات الشبم -فتح المنجمة وكسر الموحدة- أي البارد، وشبهها بالماء في ذلك لأنها سبب حياة الأرواح، وهو سبب حياة الأشباح، وجعل مواردها وهو القم كافي في الإطفاء.

١٠١- **كَأَنَّهُبُ الْخَوْضِ، تَبَيُّضُ الْوَجُوهِ بِهِ مِنْ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحُمَمِ**

كأنها أي الآيات الخوض، أي مأوى تبيض الوجوه به حال من انحوص من العصاة -صفة للوجوه أو بيان أن أريد بها النواب- وقد جاءوه من النار حال من العصاة -كالحمم- بضم المهملة وفتح الميم -جمع «خمة» بمعنى فحمة، وهو حال من فاعل «جاءوا».

ووجه الشبه أن آيات القرآن لما كانت تشفع في ناليتها وقد جاء مسود الوجه من المعدني، يبيض وجهه بشفاعتها فيه، شبهها بالحوص الذي تبيض الوجوه من العصاة به، ففي حبر الصحيحين: (فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا فَيُلْقُونَ فِي نَهِرٍ

(١) فالآيات تنلى بالقم، لذلك كان مواردها.

الفصل السادس: في شرف القرآن

الحياة^(١) وفي رواية^(٢): فيصبّ عليهم ماءُ الحياة، أي فيذهب السواد عنهم، ويظهر البياض.

١٠٢ وكالصراط وكالمزان معدلة فالقسط من غيرها في لئس لم يقم

وكالصراط -مظوف على جملة التشبيه عطف صفة على صفة- أي آيات حق كالصراط، أي الطريق في الوصول به إلى المقصود، والميزان معدلة أي عدلاً، أي استقامة، وهو تمييز من الذي قبله، فالقسط أي العدل من غيرها أي الآيات، في الناس لم يقم. و«س» و«هي» متعطفان بـ «يقم».

لا يُقَل: بل يقوم من غيرها فيهم، كالمسئلة والإجماع، لأننا نقول: غيرها راجع إليها بوسط^(٣) أو دونه، قال تعالى: ﴿يَوْمَا أَتَاكُمُ الْمُرْسَلُونَ فَخَسِرُوا وَمَا يَصْلَحُ عَنْهُ فَانْتَهَرُوا﴾^(٤)، ومُسْتَقْد الإجماع ونحوه الكتاب والسنة، ولو بوسط.

(١) رواه بخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفه الجنة، الباق، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشهادة وإخراج الموحدين من النار؛ ولفظه عند مسلم يستدعي: «بي سبع الخلد»، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مِنْ بَشَرٍ يَرْجَمُهُ، وَيَدْخُلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَهْوِلُ، انْظُرُوا مِنْ وَجْهَتِي فِي قَلْبِهِ مَقَالٌ حَيَّةٌ مِنْ حَرَسٍ مِنْ إِبْرَسٍ فَخَرَجُوا، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حَمَامًا قَدْ امْتَحَشُوا، يَلْعَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ، فَيَبْسُوْنَ فِيهِ كَمَا يَسْبُحُ الْحَيَّةُ [أي برور العشب] مِمَّنْ جَنِبَ الْمَيْمَنَ، أَلَمْ يَرْوِهِ كَيْفَ يَحْرَحُ صَفَرٌ مَبْنُوءٌ».

(٢) رواية أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الأوسط.

(٣) أي واسطة.

(٤) سورة الحشر من الآية ٧.

١٠٣ لا تَعَجِبَنَّ لِحَسودٍ راحٍ يُنْكِرُها — تَجاهلاً وهو عَيْنُ الحاذقِ الفهمِ

لا تعجبين -بيدته على الفتح لاتصال نوب التوكيد به- لحسودٍ راحٍ أي ذهب، والحالة أنه ينكرها، أي الآياتِ تَجاهلاً -بنصبه مفعولاً له، أو حال من فعل «ينكرها»، أي متجاهلاً بها، وهو أي والحالة أن الحسود عَيْنُ الحاذقِ -بدال منجمة أي الماهر الفهم أي الشديد الفهم، لما اشتملت عليه من أنواع الإعجاز، الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، الجائي بها عن الله تعالى، فإنكارها المكذب له^(١) عناده دعا إليه الحسدُ له صلى الله عليه وسلم على نعمة الرسالة، فلا عجب في إنكارها للحسد، فإن الموجود قد ينكرُ لأمرٍ ما، كما في قوله:

١٠٤ قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ لَشَفْسٍ مِنْ رَمِدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المِاءِ مِنْ سَقَمٍ

قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشفص، أي تنفي وجوده من أجل رميدٍ بها، نظائره غير مانع من الرؤية، وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ مِنْ أَجْلِ سَقَمٍ أي مرضٍ به، يطنه غير مانع من الاستطعام. ولا محل للجهلنين، لأنهما تعليلتان، فهما مستأنفتان.

(١) أي إنكارها الداعي إلى تكذيبه صلى الله عليه وسلم

الفصل السابع. في أسرائه ومعراجه^(١) صلّى الله عليه وسلم

١٠٥ يا خَيْرَ مَنْ يَمُحُّ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتَوْنِ الْإِثْنِ الرَّسْمِ

يا خَيْرَ مَنْ يَمُحُّ الْعَافُونَ، أي قَصَدَ الْطَالِبُونَ لِلْمَعْرِفِ^(٢) سَاحَتَهُ، أي حَرِيمَ دَارِهِ الْوَاسِعِ، سَعِيًّا حَالًا بِمَعْنَى سَاعِيًّا - أي مُسْرِعِيًّا فِي الْمَشْيِ، وَرَافِقِينَ فَوْقَ مُتَوْنٍ أي طُهْرَ الْإِثْنِ جَمْعُ «ثَاقَةٍ» وَاصْلُهُ «أَنَو» قُصِدَ الْوَأْوُ ثُمَّ قُلِبَتْ بَاءٌ تَخْفِيفًا الرَّسْمِ صَمْتُ لَزَاءِ وَالسَّيْنِ - جَمْعُ «رِسْمٍ»، وَهِيَ الدَّقَّةُ الَّتِي تَزُولُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْوُطْنِ.

١٠٦ - وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُعْتَمِرٍ

وَيَا مَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لَنِي هِيَ كِبَرُ الْآيَاتِ لِمُعْتَبِرٍ بِتَأَمُّلٍ وَتَفَكُّرٍ، وَيَا مَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى^(٣) الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ لِنَعْمٍ لِمُعْتَمِرٍ لَهَا، أَي لِمُحَدِّثِهَا عَظِيمَةً.

(١) لمزيد من المعلومات حول الإسراء والمعراج، يرجع كتاب «الكلمات الطيبات في السأثور عن الإسراء والمعراج من الروايات» - لفصيله العلامة محمد باقر المصطفي معني الديار المصرية - ص ١٠٠، وهو بصيرته «كشيدة سحر والتاريخ» ضمن سلسلة «تراث الأزهريين» أيضا.
(٢) يقال «عفا فلانا» أي أنه يصب فضله ومعرفته.
(٣) إشارة إلى قوله تعالى: «فَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» [سورة آل عمران - من الآية ١٦٤].

و«الآية» علامة صادقة بالدليل، يعبر بها من يريد أن يعرف الحق من الباطل، و«النعمة» بمعنى المنعم به، وهو صلى الله عليه وسلم أكثر الآيات وأعظم النعم، لأنه دال على الحق، مُنتم في جميع ما يأتي به، قال تعالى له: ﴿وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، أي تكل على دين الإسلام، ﴿يَوْمَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) أي ذا رحمة لهم، واللام في «لمعتبر» و«لمعظم» منصفة بما قبلها.

١٠٧- سَرَّيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

سريت أي سرت، من حرم ليلًا أي فيه، إلى حرم. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^(٣)، ومن أسرى به الله تعالى فقد سرى، وكل من المسجون يسمى حرماً.

وذكر الليل مع السرى في النظم، والإسراء في الآية، اللذين لا يكونان إلا بالليل، للإعلام بأنهما في جزء من الليل بعبارة تكبره لأنه للنقل، أي سريت في بعضه، كما سرى البدر ما مضية أي كسرى القمر ليلة كماله في داج كائن من الظلم، أي في ليل مظلم، يقال «دجى الليل» إذا أظلم، فهو داج، ووجه الشبه سرعة السير وكمال الإثارة.

(١) سورة الشورى من آية ٥٢

(٢) سورة الانبياء آية ١٧

(٣) سورة الإسراء من آية ١

١٠٨- وَبِئْسَ تَرْقًى، لِي أَنْ بَلِّتَ مَنْرَلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَمْ تُدْرِكُ وَلَمْ تُرْمِ

وبئس ترقى، أي تصعد لينة الإسرائاء منازل العلو يختلج السموات السبع كما سيأتي^(١)، إلى أن نلت منزلة أي مرتبة، من -الديار- قاب أي قدر قوسين طولاً في الغرب من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ دَبَّ قَتْلَى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٢)، أي أنه في الغرب منه^(٣) كقرب الواحد من آخر بعتر قوسين أو أقل، لا قرب مكان، لأنه تعالى منزله عنه، بل قرب تشریف وتقريب منزلة، لم تدرك تلك المنزلة، ولم ترم أي لم يصلها أخذ غيرك ولم يطلبها.

١٠٩- وَقَدَّمْتُكَ حَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا وَالرُّسُلَ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

وقدّمْتُكَ جميع الأنبياء عليهم بها، أي بسبب تلك المنزلة، وقدّمْتُكَ أيضاً جميع الرُّسُلَ بها -بإسكان السين- تقديم -بالنصب مضنر مشبهة به- أي كتقديم مخدوم على خدَم في المنزلة. وعطف الرُّسُلَ على الأنبياء من عطف الحاصل على العام^(٤).

(١) يقول الباجوري: وبعد وصولك إلى بيت المقدس بيت ترقى أي تصعد، فإنه صلى الله عليه وسلم صلب له معراج، له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب، وهو الذي تخرج عليه أرواح المؤمنين.

(٢) سورة النجم - لايتار ٨ و ٩

(٣) والمراد هنا الغرب المعنوي كما شرحه شيخ الإسلام القاضي ركبنا لألصاري.

(٤) لأن كل رسول نبي، وليس المعص، والمراد هنا تقديمهم إياه في بيت المقدس حيث صلى بهم إماماً روى مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب هي نكر المسيح ابن مريم والمسيح النجال، بسنده عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيته في الحجر وقرش تسألني عن مسراي، فسألته عن أشيائه من بيت المقدس ثم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيته في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل صوب جعد كله من رجال شوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبيها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه، فحانت الصلاة فأمنهم ..

١١٠- وأنت تخترق السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ في موكبٍ كنت فيه صاحب العلم

وأنت -أي والحال أنك- تخترق السموات السَّبْعَ الطَّبَاقَ، أخذاً من قوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(١) أي بغضها فوق بغض، ماراً بهم.

ففي خبر الإسراء في مُسَلِّمٍ^(٢) أنه صلى الله عليه وسلم مر في السماء الدنيا بأدم عليه السلام، وفي الثانية بعيسى وحيى عليهما السلام، وفي الثالثة بيوسف عليه السلام، وفي الرابعة بإدريس عليه السلام، وفي الخامسة بهارون عليه السلام، وفي السادسة بموسى عليه السلام، وفي السابعة بإبراهيم صلى الله عليهم وسلم.

فقول الناطم «جميع الأنبياء والرسل»^(٣) أي الذين لقيهم، وقال بعضهم: ويَحْتَمِلُ أن لا يَقَرُّوا بذلك، بأن يكونوا قد اطلعوا على منزلته هذه بالوحي في حياتهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾^(٤) الآية، أو كان ذلك في ليلة الإسراء بأرواحهم حاضرة، أو بها مع أجسامهم، كما يدلُّ له ما جاء في خبر الإسراء، من أن جماعة الأنبياء أُنشِوا على الله عز وجل في تلك الليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرهم في ذلك، فأثنى على مولاه سُبحانه وتعالى بما ألهمه، فقال الحليل عند ذلك: «بهذا فصلكم محمدٌ صلى الله عليه وسلم»^(٥).

(١) سورة العنكبوت من الآية ٣

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات.

(٣) في قوله في البيت الذي سبق «وقدمتكم جميع أنبياء بها والرسل».

(٤) سورة آل عمران - من الآية ٨١

(٥) رواه الهيثمي في كشف الأستار.

في موكب -بكسر الكاف- أي جمع عظيم بهيئة عظيمة، إذ كان معه جنرل وميكائيل، وما أعظمهما وأعظم هيئتهما، كُنت فيه صاحب العلم، أي المُشار إليه، و«العلم» الرُوح في رأسه راية، ومن شأنه أن يُشار إليه، وقد كان جنرل يستفتح في كل سماء، فيقول له: ومن معك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ.

و«في موكب» حال من فاعل «تخترق»، أو خبر ثانٍ لـ «أنت»، وجملة «كُنت» صفة لـ «موكب».

١١١- حتى إذا لم تدع شأواً لمُسْتَبِقٍ من الدُّنُو ولا مرقى لمُسْتَبِمٍ

حتى إذا لم تدع شأواً أي تترك غاية، لمُسْتَبِقٍ أي سارع ليسبق، من الدُّنُو أي القُرب، ولا مرقى أي موصع رقي، أي درجة لمُسْتَبِمٍ، أي لطالب رفعة، من «مُسْتَبِمٍ» أي «علا».

و«حتى» غاية لاخترافه^(١)، و«إذا» ظرفية مجازية، وكل من «لمُسْتَبِقٍ» و«لمُسْتَبِمٍ» متعلق بما قبله، أو بـ «تدع»، وكذا «من الدُّنُو»، و«من» على الأول للبيان وعلى الثاني للتأكيد، و«لا مرقى» عطف على «شأواً» بزيادة «لا» لتأكيد النفي.

أي وأنت تخترق السَّبْعَ الطَّباق إلى مقام القُرب، لم تُدرك منه ما ذكر^(٢)، بل تجاوزت ذلك إلى أعلى مقامات القُرب، وهو المعبر عنه فيما مرُّ بقاب قوسين.

(١) من قوله «ولست تخترق السبع الطباق» في البيت السابق.

(٢) أي لم تدرك ما ذكر لحسب، بل تجاوزت ذلك.

١١٢- خَفَضَتْ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ نُودِيَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمَقَرِّ الْعَلَمِ

خَفَضَتْ -جواب «إِذَا»- أي حططت كُلَّ مَقَامٍ لغيرك مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَقَامِكَ^(١)، إِذْ نُودِيَ بِالرَّفْعِ إِلَى مَقَامِ قَابِ قَوْسَيْنِ الَّذِي لَمْ يَصِلْهُ غَيْرُكَ، مِثْلَ الْمَقَرِّ الْعَلَمِ أَيْ الْمُسَارِ إِلَيْهِ فِيمَا أُفْرِدَ بِهِ مِنْ بَيْنِ أَفْرَادِ صُنْعِهِ.

و«بِالْإِضَافَةِ» مُتَعَلِّقٌ بِ«خَفَضَتْ»، وَالْبَاءُ لِلْمُصَحَّحَةِ، وَ«إِذَا» حَرْفٌ تَقْلِيلٌ، وَ«الرَّفْعِ» مُتَعَلِّقٌ بِ«نُودِيَ»، وَالْبَاءُ سَبَبِيَّةٌ أَوْ حَالٌ مِنَ النَّاءِ، وَالْبَاءُ لِلْمُصَحَّحَةِ، وَ«مِثْلَ» حَالٌ مِنْ نَاءِ نُودِيَ.

١١٣- كَيْمًا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيْ مُسْتَرٍ مِنَ الْعِيُونِ وَسِرٌّ أَيْ مُكْتَمٍ

كَيْمًا تَفُوزَ بِالنَّصَبِ بِ«أَنْ» مُقَدَّرَةٌ، وَ«كَيْ» حَرْفٌ جَزٌّ بِمَعْنَى لَامٍ، التَّعْلِيلُ، وَ«مِمَّا» مُضَدَّرَةٌ أَوْ رَدَّةٌ، وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَمَلٌ «هَرِيَّتٌ»، وَ«هَيْتٌ».. إِلَى آخِرِهِ^(٢)- أَيْ فَعَلَتْ ذَلِكَ، مُنْهِيًا إِلَى مَرَّةٍ قَابِ قَوْسَيْنِ لَتَفُوزَ بِوَصْلِ مَنْ أَسَّ، أَيْ مُسْتَرٍ عَنِ الْعِيُونِ، وَسِرٌّ أَيْ مُكْتَمٌ عَنِ الْخَلْقِ سَجَرٌ «أَيْ» فِي الْمَوْصِعَيْنِ صَفْعَةً لَمْ تَلْهَا دَالَةً عَلَى مَعْنَى الْكَمَالِ، أَيْ بِوَصْلِ كَامِلٍ فِي الْأَسْتَدَارِ، وَسِرٌّ كَامِلٌ فِي الْإِكْتِنَامِ^(٣).

(١) يَقُولُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ مُتَصَوِّفُونَ بِالْكَمَالِ، لَكِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ، هَعَامَ غَيْرُهُ مُنْجَحِّصٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَقَامِهِ الْمَرْفُوعِ عَنْ مَقَامِ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَبِزَيْنِ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَحْصَنُ مَرْتَبَعٌ فِي نَحْوِهِ، وَإِنَّمَا يُنْجَحِّصُ بِالنِّسْبَةِ لِمَقَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ.

(٣) أَيْ سِرٌّ فِي غَايَةِ الْإِكْتِنَامِ، وَأَشَارَ بِهِ إِلَى مَا تَشْرَفُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِمْرَاءِ، لِأَنَّهُ انْتَهَى بِهِ إِلَى مَكَانٍ يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتُ الْأَقْلَامِ.

الفصل السابع في إسرائه ومعرجه

وهذا المنر مأخوذ مما روي أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله، ما الذي أوحى إليك ربك إذ قال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾^(١)، قال: يا عائشة أتريدين أن تعلمي ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك معرفت، فقالت: أسألك بأبي بكر إلا ما أعلمتني، فقال: إني لما كنت قاب قوسين، قلت: اللهم بك عذبت الأمم بغصهم بالحجارة، وبغصهم بالمشح، وبغصهم بالحسف، وما أنت فعل بأمتي، قال: أنزل عليهم الرخمة من عنان السماء، وأنزل سيئاتهم حسبات، ومن دعائي منهم ليئنة، ومن سألتني منهم أعطينة، ومن توكل علي كعينة، وفي الدنيا أمتر العصاة، وفي الآخرة أشفعك فيهم^(٢).

١١٤- عجزت كل فحار غير مشترك وعجزت كل مقدم غير مزدحم

فحزرت -بحاء مهتلة وزاي معجمة أي جمعت كل فخار، أي ما يفخر به من الفضائل غير مشترك فيه، وعجزت -بجيم وزاي معجمة أي عجزت كل مقام غير مزدحم فيه -يفتح الحاء- و«غير» في الموضعين منصوب أو مجرور، صفة لـ «كل» أو لما أضيف إليه «كل».

(١) سورة النجم - الآية ١٠

(٢) لم يعثر هيب بوفر لنا من مراجع على هذه الرواية. وهي تفسير لهذه الآية، يقول الإمام القرطبي: «ثم قيل: هذا الوحي هل هو منهم؟ لا يطلع عليه نحن ونحننا بالإيمان به على الجمعة، أو هو معلوم مصر؟ فولان. والثاني قال سعيد بن جبير، قال، أوحى الله إلى محمد: ألم أجعلك بين قاربتك؟ ألم أجعلك صالاً مهديتك؟ ألم أجعلك عائلاً فأعيتك؟ ألم ندرج لك صدرك؟ ووصفنا عنك وزرك؟ ألم نضع ظهرك؟ ورفعنا لك ذكرك؟ [سورة النجم، الآيات ١-٤]. وقيل أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تنظها، يا محمد، وعلى الأمم حتى تكملها أمك».

١١٥- وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُوتِيَ مِنْ رُكْبٍ وَعَزَّ إِذْرَاكَ مَا أُوتِيَ مِنْ نِعَمٍ

وَجَلَّ أي عَظُمَ مِقْدَارُ مَا أُوتِيَ -بالإيحاء للمفعول- مِنْ رُكْبٍ، أي مناصِبَ شريعةٍ فلا يحاطُ به، وَعَزَّ إِذْرَاكَ مَا أُوتِيَ -بالإيحاء للمفعول- أي أعطيت من نعم جَمْعُ «نِعْمَةٍ»، بِمَعْنَى مُنْعَمٍ بِهِ، أي اَمْتَنِعْ واستَعَصِ إِذْرَاكَ بِكَمَالِهِ. وَجُمْلَةُ «جَلَّ» مُسْتَنْقَذَةٌ أَوْ مَغْطُوفَةٌ عَلَى مَا قَدْ لَفَّ، وَكَذَا جُمْلَةُ «عَزَّ».

١١٦- تُشْرَى لَكَ مَعْشَرُ الْإِسْلَامِ، إِنْ لَمْ نَا مِنَ الْعَمَلِ رُكْنٌ غَيْرُ مُنْهَدِمٍ

تُشْرَى مِنْ «الْبِشَارَةِ» وَهِيَ الْخَيْرُ السَّارُّ، وَيُشْرَى خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَخْدُوفٌ، أي «هَذِهِ الْمَنَاقِبُ تُشْرَى»، أَوْ مُبْتَدَأٌ وَإِنْ كَانَ نَكْرَةً لَكُونَهَا فِي مَعْنَى نَكْرَةٍ مَوْصُوفَةٍ، لِقَا صِفَةٍ عَلَى الْأَوَّلِ وَخَيْرٌ عَلَى الثَّانِي، مَعْشَرُ الْإِسْلَامِ أَيِ جَمْعُ الْمُتَّبِعِينَ، بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ أَوْ الْقَدَامِ.

وَيَبِينُ النَّشْرِيُّ الْمُنَادِي بِهَا بِقَوْلِهِ: إِنْ لَمْ نَا مِنَ الْعَنَاءِ بِنَا فِي الْأَزَلِ رُكْنًا عَظِيمًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ، أَيِ شَرِيعَةٍ بَاقِيَةٍ غَيْرِ مَنسُوخَةٍ^(١). وَ«الرُّكْنُ» مَا يَتَّخِذُ عَلَيْهِ، وَ«الْإِنْهَادُ» الْقَعِيرُ.

(١) يَقُولُ ابْنُ الْعَمَادِ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الْبَيْتِ: وَأَرَادَ بِالرُّكْنِ (مَا) الْإِسْلَامَ. وَإِنَّمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ الرُّكْنُ هُوَ الْمُبَشِّرُ بِهِ أَوْ هُوَ سَبَبُ الْبِشَارَةِ.

١١٧- لَمْ دَعَا اللَّهَ دَاعِيًا لِبَطَاعَتِهِ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

لَمَّا دَعَا اللَّهُ، أَي سَمَّى دَاعِيَنَا أَي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَفْعُولٌ أَوَّلُ لَمْ «دَعَا» - لَكِنَّهُ سَكَنَ الْيَاءُ عَلَى قَلَّةٍ (١) - وَقِيلَ «دَاعِيَنَا» بِذَلِكَ مِنْ فَاعِلٍ «دَعَا» فَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، لِبَطَاعَتِهِ، مُتَعَلِّقٌ بِـ «دَاعِيًا»، أَوْ بِـ «دَعَا»، بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ، مَفْعُولٌ ثَانٍ لَمْ «دَعَا» وَجَوَابٌ لَمْ «دَعَا»، كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ شَرَفَ الْأُمَّةِ بِشَرَفِ نَبِيِّهَا (٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (٣) أَي أَنْتُمْ خَيْرُهَا.

(١) إِذْ كَانَ حَقُّهَا التَّصَدُّقَ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ «دَاعِيَنَا»

(٢) يَقُولُ ابْنُ الْعَمَادِ الْأَنْهَاسِيُّ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ: لَمَّا سَمَّى اللَّهُ دَاعِيًا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ، حَيْثُ اصْطَفَاهُ مِنْ خَيْرِ الْخَلَائِلِ وَجَعَلَهُ سَيِّدَ وَدَادِ أَدَمَ، كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ، شَرْفًا بِشَرَفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَكُنَّا جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ - مِنْ آيَةِ ١٤٣] وَالْوَسْطُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خِيَارُهُ.

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مِنْ آيَةِ ١١٠



الريدة الوردية شرح البردة الفاتنة

الفصل الثامن: في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

١١٨ رَأَيْتُ قُيُوبَ الْعَدَا أَبْشَاءَ بَغْتَتِهِ كَنْبَاءَ أَخْفَتِ غُفْلًا مِنَ الْغَنَمِ

رَأَيْتُ بَرَاءَ وَعَيْنَ مَهْمَةٍ أَيْ أُرْعَتِ قُلُوبَ الْعَدَا بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَصَمِّهَا وَالْقَصْرِ - جَمْعُ «عَدُو» أَيْ الْكُفَّارُ، أَنْبَاءُ بَغْتَتِهِ أَيْ أَخْبَرُ رِسَالَتَهُ لِعَقْلَتِهِمْ عَنْهَا، حَالَةَ كَوْنِهَا كَنْبَاءً أَيْ رَأَى الْأَسَدَ، أَخْفَلْتُ بِجِمْ أَيْ أُرْعَتِ، غُفْلًا بِصَمِّ الْعَيْنِ الْمُنْجَمِ جَمْعُ «غَافِلٍ» - كِبْرِيٍّ وَيَرْى مِنْ الْغَنَمِ فَأَسْرَعَتْ فِي الْهَرَبِ مِنْهَا، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ غَافِلَةً عَنْهَا لَمَا جَقَلْتُ مِنْهَا.

كَذَلِكَ الْكُفَّارُ، لَوْ كَانُوا مُتَّفَقِينَ إِلَى بَعْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُؤْمِنُوا بِهِ لَمَا قَزَعُوا مِنْهَا، وَفِي خَبَرِ الْمُصْحِحِينَ: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)^(١)، وَرَوَى الطَّبْرَايُ: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرَيْنِ)، وَالْمُرَادُ بِهِ مَا فِي رِوَايَةٍ: (وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا أَمَامِي، وَشَهْرًا خَلْفِي)^(٢)، وَيُقَاسُ بِهِمَا الْيَمِينُ وَالشُّمَالُ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْخَبَرِ الْأَوَّلِ شَهْرًا مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَ بِهَا الْعَدُوُّ مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قُيُوبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ «بَسْمَةِ» عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَعْطَيْتُ حِمْسًا لِمَنْ يَعْمَلُ أَحَدُ هَيْدِي، كَسَّ كُلُّ نَبِيٍّ يَهْبِثُ إِلَى قَوْمِهِ حَاصِصَةً وَيَهْبِثُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ، وَأَحْلَلْتُ لِي الْعِثَامَ وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجَعَلْتُ فِي الْأَرْضِ طَبِيبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَلَمَّا رَجَلَ أَتْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأَعْطَيْتُ الشَّعَاصِعَ»

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَايُ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ بِمُفْرَدِهِ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ، وَهِيَ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا أَمَامِي وَشَهْرًا خَلْفِي»

الفصل الثامن في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

وَجَفَلَتْ «رَاعَتْ» مُسْتَأْنَفَةً، وَقَوْلُهُ «أَجْعَلْتُ» صِفَةٌ «نَنَاءً»، و«عَفَلًا» مَفْعُولٌ «أَجْعَلْتُ»، و«من العدم» صِفَةٌ لَهُ، و«من» للبيان، وقيل للتبخيص.

١١٩- مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَمَالِ حُمْأً عَلَى وَضَمٍّ

مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ بِانصَمَّ وَالْإِشْبَاعِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ يَفْتَحُ الرِّاءَ أَي مَكَانَ الْإِغْتِرَاكِ، أَي الْأَزْدَحَامِ فِي الْحَرْبِ، حَتَّى -عَايَةً لِلْفَائِزَةِ إِيَّاهُمْ- حَكَّوْا أَي شَابِهُوا بِالْقَمَالِ بِالْقَصْرِ -جَمْعُ «نَنَاءٍ» وَهِيَ الرِّمْحُ، أَي بِسَبَبِ طَعْنِهِمْ بِهَا، لِحُمْأً كَانِنًا عَلَى وَضَمٍّ بِمُعْجَمَةٍ -وَهُوَ مَا يَضَعُ الْقَضَابُ اللَّحْمَ عَلَيْهِ، مُعَدًّا لِمَنْ يَأْخُذُهُ. أَي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاهَدَ الْكُفَّارَ، حَتَّى تَرَكَهُمْ قَتْلَى، مُعَدِّينَ لِأَكْلِ السَّبَاعِ وَالطَّيُورِ لِحَوْمِهِمْ.

و«حَكَّوْا» أَضْلَعُ «حَكَّيْوْا»، قَلْبَتْ الْيَأْ أَلْفًا لَتَحْرِكُهَا وَانْفِتَاحَ مَا قَبْلَهَا، ثُمَّ خُدْفَتْ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ.

١٢٠- وَدُّوا الْفِرَارَ، فَكَادُوا يَغْضُطُونَ بِهِ أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعُقْبَانِ وَالرَّحِمِ

وَدُّوا الْفِرَارَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَي تَمَنَّوْهُ، فَكَادُوا يَغْضُطُونَ^(١) -بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ بِهِ أَشْلَاءَ يَفْتَحُ أَوَّلُهُ وَمَنْعُ صُرْفِهِ لِلْوَرْنِ- جَمْعُ «شَلَوُ» يَكْسِرُ الشَّيْنُ -وَهُوَ الْعُضْوُ، شَالَتْ -أَي الْأَشْلَاءُ- أَي أَرْتَفَعَتْ مَعَ الْعُقْبَانِ يَكْسِرُ الْعَيْنُ -وَالرَّحِمِ، جَمْعُ «عُقَابٍ» وَ«رُحْمَةٍ» نَوْعَانِ مِنَ الطَّيْرِ، يَقْعَانِ عَلَى الْمَيْتَاتِ يَأْكُلَانِ مِنْهَا وَيَحْمِلَانِ مِنْهَا لِعَرَاكِهَمَا.

(١) أَي يَحْسُورُونَ بِشَ الْأَشْلَاءِ لَأَنَّهُ وَجِبَتْ مَرَّ بَعْدَ سَهْ

وَجُمْلَتُهُ «وَدُّوا» مُسْتَأْنَفَةٌ، و«الغَيْطَةُ» تَمْنِي أَنْ يَحْضَلَ لَهُ مِثْلُ مَا حَصَلَ لغيره من غير أَنْ يُرِيدَ زَوَالَهَا عَنْهُ. أَي قَارِبُوا أَنْ يَتَمَنُّوا أَنْ يَحْضَلَ لَهُمْ مِثْلُ مَا حَصَلَ لِأَغْصَاءٍ، ارْتَفَعَتْ بِهَا الطُّيُورُ، لِيَتَخَلَّصُوا مِنْ جِهَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُؤْمِنُوا بِهِ.

١٢١- قَمَضِيَ اللَّيَالِي وَلَا يَذْرُونَ عِدَّتَهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ

تَمَضَى أَي تَذَهَبَ عَلَيْهِمُ اللَّيَالِي بِأَيَّامِهَا، وَلَا يَنْزِرُونَ أَي يَعْلَمُونَ عِدَّتَهَا مِنْ شِدَّةِ هُمُومِهِمْ بِجِهَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ، مَا لَمْ تَكُنْ أَي مُدَّةً عَنْهُمْ كَوْنُ اللَّيَالِي بِأَيَّامِهَا مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ، دِي الْقَعْدَةِ وَذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ وَرَحَبَ، فَإِنَّهُمْ يَذْرُونَهَا وَعِدَّتَهَا بِإِمْسَاكِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْقِتَالِ فِيهَا. وَجُمْلَتُهُ «تَمَضَى اللَّيَالِي» مُسْتَأْنَفَةٌ.

١٢٢- كَأَنَّمَا أُنْدِينُ ضَيْفٍ حَرٍّ سَاحَتَهُمْ بِكُلِّ قَرَمٍ إِلَى لَحْمِ الْعَسَدِ قَرَمٍ

كَأَنَّمَا الدِّينُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، و«ما» زَائِدَةٌ، أَي كَأَنَّ الْإِسْلَامَ ضَيْفٌ حَرٌّ أَي نَزَلَ سَاحَتَهُمْ، أَي الْعِدَاءُ بِكُلِّ قَرَمٍ -بِفَتْحِ الْقَافِ وَاسْتِكَانِ الرَّاءِ- أَي سَيِّدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَالْبَاءُ لِلْمَصَاحِبَةِ أَوْ لِلتَّخْذِيَةِ، إِلَى لَحْمِ الْعِدَاءِ أَي الْكُفَّارِ، -وَفِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمُضْمَرِ- قَرَمٍ -بِكَسْرِ الرَّاءِ- أَي شَدِيدِ الشُّهُورَةِ، بِأَنْ تُصَيِّرَهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَتْلَى لَحُومًا مُعَدَّةً لِأَكْلِ الْحَوَارِجِ.

و«إلى» غَايَةٌ لـ «قَرَمٍ» -بِكَسْرِ الرَّاءِ- وَهُوَ صِفَةٌ لـ «قَرَمٍ» بِاسْتِكَانِهَا.

١٢٣- يَجْرُ بِحَرْ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِغَةٍ يَوْمِي مَوْجٍ مِنَ الْأَنْطَالِ مُلْتَظِمٍ

يجرُّ ذلك السيّد أي يقود، بحر خميس أي جيشاً كالبحر في تموجه
وبفلاكه للكفار، فوق حبل سابغة أي جارية.

يرمي ذلك الجيش بموج صادر من الأنطال، جمع «نطل» أي شراع،
ملتظم بنفسه ببعض لهيجائه، والمراد به الأفعال الواصلة للكفار بالآلات القتال
من طعن وقتل وغيرهما. وإضافة «بحر» إلى «خميس» من إضافة الصفة إلى
الموصوف كما شرب إليه، وسُمي «جيش خميس» لأنه حصّة أخيرة: مقدّمة،
وقلب، وميمّنة، وميسرة، وساقّة^(١). وباء «موج» للمصاحفة.

١٢٤- مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُخْتَمِبٍ يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِبُكَفَرٍ مُضْطَلَمٍ

من كلّ منتدب -يفتح المهمة- وهو يدلّ من قوله «من الأنطال»، أو صفة
بعد صيغة لـ «موج»، أي مدعوّ لله مختمب ذلك -بكسر السين أي طالب بعمله
من الله تعالى الأجر والثواب.

يسطو ذلك المنتدب أي بصول، بمستأصل -بكسر الصاد- للكفر أي
لأهله، مضطلم لهم، من آلات القتال من سيف وغيره. يقال «استأصله» قلعه
من أصله، و«اضطلمه» أهلكه، وفي الصحاح والقاموس^(٢): «الاضطلام»
الاستئصال. وباء «مستأصل» للاستعانة

(١) الساقّة من الجيش هي المؤخرة.

(٢) صحاح اللغة للجوهري، والقاموس المحيط للهروريّ، من أشهر المعاجم العربية.

١٢٥ حتى غدت ملّة الإسلام وهي بهم من بعد عزبتها موصولة الرّحم

حتى متعلّقة بـ «يسطو»^(١)، غدت سيمر معجمة- أي صارت ملّة الإسلام، من إصافه الأعم إلى الأحص، وهي -أي الملّة- قائمة بهم، أي بالصحابة الأبطال، والباء بالمشيبيّة أو للمصاحبة، وخمسه «وهي بهم» اغتراض، من بعد عزبتها منعق بقوله موصولة الرّحم بالنّصب خير «غدت»، و«من» لابتداء الغاية.

و «القرية» مأخوذة من خير مُسلم: (بدأ الإسلام غريباً)^(٢)، أي طهر بين قوم لا يقومون به، فهو مقطوع الرّحم، حتى قام به الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فوصلوا رحمه.

١٢٦ مكفولة أبداً منهم بخير أب وخير نعل، فلم تيتّم ولم تتبم

مكفولة خير ثانٍ لـ «غدت» أو حال من فاعله، أي مخفولة أبداً منهم أي من الكفار، بخير أب وخير نعل أي روح، وهو النبي صلى الله عليه وسلم^(٣)، فلم تيتّم أي الملّة من جهة الأب، ولم تبم من جهة النعل.

والنبي صلى الله عليه وسلم أشفق على أمته من الأب على أولاده، وأقوم بمصالحهم من النعل على زوجاته.

(١) في البيت السابق

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيرره غريب.

(٣) وذلك مأخوذ من قوله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم» [سورة الأحزاب من الآية ٦]، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روه البخاري في صحيحه، كتاب انفرادي، بسنده عن النبي فريره رضي الله عنه (إن أولى بالمؤمنين من أنفسهم من أب وعليه دين ولم يترك ولاء قطيلاً قصاره ومن ترك ما لا يورثه)

الفصل الثامن في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

وباء «بحير» باللقاق، و «تيتم» -فتح فوقية- مصارع «يتم» -بكرها يقال «يتم الولد ييتم» إذا مات أبوه وهو صغير، و «تتم» مضارع «امت»، يقال: «امت المرأة تيتم» كباغت تبيع إذا حلت من زوجها، ومنه: «وأنكحوا الأيامى منكم»^١، وجملت «هم ييتم، وتم يتم» معطوفتان على جملة «وهي بهم».

١٢٧- هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُضَادِمَهُمْ مَادَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُضْطَدَمٍ

هُمُ أي الصحابة رضي الله تعالى عنهم الجبال، أي كالجبال في الصلابة والصبر في الحرب. والجملة جواب ما يقال، من هؤلاء الذين صارت بهم الملة إلى هذه الحالة^٢، فيقال هُمُ الجبال، فَسَلْ عَنْهُمْ مُضَادِمَهُمْ في الحرب:

ماذا يدل شمال من صمير «عنهم» وهو استقهم فهو مفرد، أو «هم» استقهمية و«ذا» موصول، فهو جملة رأى مِنْهُمْ -بالضم والإشباع من الشدة في كل مُضْطَدَمٍ، أي مكان اضطدام في الحرب، فإنه -أعني مضادهم- بخربك به ولا يتسعه كثرة.

و«المضادمة» اضطكاك الصفيين، و«من» وهي متعلقان بـ «رأى»، و«س» لايتداء الغاية، وجملة «فسل» معطوفة على جملة «هُمُ الجبال» وهو من عطف الإنشاء على الإخبار.

(١) سورة الدور - من الآية ٢٢

١٢٨ - وَسَلَّ حُنَيْنًا، وَسَلَّ نَذْرًا، وَسَلَّ أَحَدًا فَضُولَ حَتَفٍ لَهْمٍ أَذْهَى مِنْ لَوْخَمٍ

وَسَلَّ حُنَيْنًا، هو واد بين مكة والطائف، وسَلَّ نَذْرًا، هو موضع ما بين مكة والمدينة، وسَلَّ أَحَدًا، هو جبل بقرب المدينة، أي أسأل أهل هذه الأمكنة (١).

فَضُولَ حَتَفٍ - مصدر وحاء مهملتين وفوقية - أي أنواع هلاك، والمضارع بدل من «حُنَيْنًا» و«نَذْرًا» و«أَحَدًا»، أو مُبْتَدَأٌ خبره مخدوف، أي ففي الأمكنة الثلاثة أنواع هلاك لهم أي للكفار، أَذْهَى مِنَ الْوَلَخَمِ، أي أشد إصابتهم من الوباء، انصبت عليهم من قبل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. و«لَهْمٍ» و«أَذْهَى» صفتان لـ «حَتَفٍ».

١٢٩ - الْمُصْدِرِي الْبَيْضِ خُمْرًا بَعْدَمَا وَرَدَتْ مِنَ الْعِذَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّعْمِ

الْمُصْدِرِي - صميم الميم - جمع سلامة لـ «مُصْدِرٍ» اسم فاعل من «أَصْدَرَ»، يقال: «أَصْدَرَ وَصَدَرَ عَنِ الْمَاءِ» أي رجع (٢)، وَأَصْدَرَ عَيْرَهُ أي رجعته، وهو منصوب بإضمار «مُدَحَّ» أي الصحابة، الْبَيْضِ أي المنيوف المعصولة، وهو مجرور بإصافة المصدر إليه، وبحور نصبه كما قرئ به في قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ أَسْلَافًا﴾ (٣)، وَخُدَّتْ أَسْوَى عَلَيْهِ نَحْفِيدًا، وعلى الأول للإصافة، خُمْرًا مِنَ الدَّمَاءِ بَعْدَ مَا وَرَدَتْ أَي الْبَيْضِ، مِنَ الْعِذَا أَي مِنَ الْكُفَرِ، مُسْوَدٍّ لـ «وَرَدَتْ»، أو حَالٍ مِنْ قَوْلِهِ كُلِّ مُسْوَدٍّ كَاتِبٍ مِنَ اللَّعْمِ، جمع «لُعْمَةٍ» وهو الشَّعْرُ الفجأور شخمة

(١) على غرار قوله تعالى: ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ أَنَّى كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف - آية ٨٢]

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتَا لَا تَسْمَعُ حَتَّى تَصْدِرَ الرَّعَاةَ﴾ [سورة القصص - من الآية ٢٣].

(٣) سورة البقرة - من الآية ١٦٢

(٤) فقال «المصدرى البيض» ولم يقل «المصدرين البيض».

الأذن، و«من» فيه رائدة، إذ المضي على الإصافة، و«حُمَرَاءُ» حال من «البيض»، و«مع» مصدرية، و«من» لاوَلَى لأبداء الغاية، و«كُلُّ» معصوم «ووزب»

١٣٠ والكاتبين بِسْمِ الْخَطِّ، مَا تَرَكْتَ أَقْلَامَهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمٍ

والكاتبين عطف على «المُضدري» أي الطاعين بِسْمِ الْخَطِّ وهي الرُمُحُ، جُمِعَ «أسمر»، و«الحطَّ» شحَرُهَا، وقيل موضع باليمامة تُخَلَّتْ إليه الرُمُاحُ من الهند، وعليه الجوهري^(١).

ما تَرَكْتَ أَقْلَامَهُمْ أي أسدَ رماحهم حرق جِسْمٍ من انكسار، أي طرفه غير منعجم، أي بلا طعن من طعنته، يُقَالُ «أَعْجَضْتُ الْكِتَابَ» إذا بَعَطْتَهُ، ومعناه أزلت عجمته، و«المعجم» النقط^(٢)، وبدء «بِسْمِ» للاستعانة، و«ما» ناهية، و«غير» صفة لـ «حرف» أو حال منه، وجملة «ما تَرَكْتَ» حال من «سمر».

١٣١- شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سَيْمًا تُمَيِّرُهُمْ وَالْوَرْدُ يَمْتَارُ بِالسَّيْمَا مِنْ لِسَمٍ

شَاكِي السِّلَاحِ أي تَامِيهِ، وقيل حَدِيثِيهِ من «لَمُوكِهِ» أي لَحْدَةٍ، وتركيبه كتركيب «المضدري البيض»، هَيَاتِي فيه م مر، ثُمَّ لَهُمْ سَيْمًا أي علامة تُمَيِّرُهُمْ

(١) هو اسم رجل بن حماد، أبو نصر الجوهري (٥٠٠ ٣٩٤ هـ)، من أمه اللغة، شاعر، معجمه «الصحاح» أو «صحاح اللغة وتاج العربية»

(٢) هو لُزْمُ البجوري في شرحه وفي هذا البيت لطائف منها تشبيه الصحابة بالكتابة، وأسد رماحهم بالأقلام، وذلك دليل على عناية إلهامهم للطنس، حتى أنها في أسهم كالأقلام في أيدي الكتبة، وليس عليهم كبير مشقة في انصرف بها، ومنها لإشادة إلى أنهم لا يطعنون طعنه لا في محبها، كما لا تنقط نكتبه بقطه لا في محبها، ومنها لإشادة إلى أنهم عجم حروف أجسام الكفار، لينمروا من المسلمين.

عن غيرهم^(١)، والوردُ يفتازُ بالسيف من السلم، وهو شحرُ يُشبهُ شجر الورد، ويمتدُّ الوردُ عنه، أي عن رفره، تحسن الحلقة وبهاء المنظر وطيب الرائحة

وأصل «شاكّي» على القول بأنّه من الشوكّة «شاكك»، بهمد مقويّه عن واو فقلت مكان لامة وبالعكس، ثم قلت ياء لتطرقها بعد كسرة، فسكت لثقل الحركة عليها، فالتقى ساكن الياء وسنوين، فحذفت لالتقاء الساكنين، كما في «قاص»، و«لهم» حيز «سيف»، ونجمه حيز «شاكّي»، وانداء لشببيه، و«من» لفصل، نحو «لهمير للة تحييت من الطيب»^(٢).

١٣٢- تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاخَ النَّصْرِ نَشْرَهُمْ فَتُخَسِبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكْمامِ كُلِّ كَمِي

تُهدِي بصمّ انتاء إِلَيْكَ رِيَاخَ النَّصْرِ أي لتأييد، نَشْرَهُمْ -الصم والإشباع أي حبرهم للعجيب الشأن. وأصلُ لِنَشْرِ الزائفة الطيبة، وبصافه الريح من بصفة الأعم إلى الأحص. رِيَاوُها مَفْسِيَةٌ عن و و بكثرة ما فعلها، كم في مفرده، وهو الريح وجمله «تُهدِي» مستأنفة، وعطف عبيد: فَتُخَسِبُ أَنْتَ، أي تطرُّ الزهر في الْأَكْمام جَمْعُ «كَمْ» كسر الكاف وهو غُلَاقُه، كُلُّ كَمِي أي شجاع منهم في سلاحه، من «كَمِي» جسده بالسلاح «سترة به، وهذا مفعول أول لـ «تُخَسِبُ»، وما قبله الثاني، وهي الْأَكْمام» حالٌّ من «الزهر».

والزهر في أكممه أخضر منظر، وأطيب رائحة منه خارج الْأَكْمام، وأصل «كَمِي» كَمِي بِشَدِيدِ انبِءاء، يورث فعل، حذف الياء المماكة وسكنت بحركة ترفع

(١) مأخوذ من قوله تعالى في وصف المؤمنين حين هم في وجوههم: [سورة الفتح من الآية ٢٩].

(٢) سورة الأنعام من الآية ٣٧

١٣٣. كَانَهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتٌ رُبَاً مِنْ شِدَّةِ الْحَرَمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ

كَانَهُمْ حاله كونهم في ظهور الخيل نبت رُبَاً جمع «ريوة» مثلث الراء وهي ما ارتفع من الأرض، ونبتها أثبت في الأرض من نبت غيرها، طول عروقه حتى تصب إلى الماء، بخلاف نبت غيرها، فهو في ظهور الخيل أثبت من غيرها بكثير، من أجل شدة الحر من كسر الشجر وفتح الماء وسكون الري أي قوة النبت، لا من شدة الحر من فتح الشجر وفتح الماء والري جمع «حرام» وهو ما يشد به اسنخ أو غيره على ظهر الدابة.

١٣٤. طَارَتْ قُلُوبُ الْعَدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا فَمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ السَّهْمِ وَالْهَيْهَامِ

طَارَتْ قُلُوبُ الْعَدَا جعله مستعارة أي اضطربت من بأسهم، أي من أجل شدتهم في الحرب، فرقاً بفتح الفاء والراء أي فرعا، وهو معرب لأنه تعبير من سببه الطوارى إلى القلوب، فَمَا تَفَرَّقَ جمع شيء وفتح الفاء وكسر الراء، انفشده أي لقلوب بين اليهم بفتح الراء وسكون الهاء وهي المنحدر، جمع «بهمة» واليهيم بفتح الراء وفتح الهاء وهم الشجعان، جمع «بهمة» بضم الراء وسكون الهاء.

والمعنى أن الفرع اشتد بالقلوب إلى أن صارت لا تميز بين المذكورين، و«ه» دافئة، وهي مع ما بعدها مغطوت على «طارت»

(١) الشجال جمع «سقله» وهو بذ العسال والمعر ماعة يولد.

١٣٥- وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتَهُ إِنَّ تَلْقَاهُ الْأَمْسُ فِي آجَامِهَا بِجَمٍّ

ومن تكن برسول الله نصرته^(١) على أعدائه، إن تلقاه الأمد وهي من أعظم الأعداء في آجامها أي غاياتها، جمع «أجمة»، وهي فيها أجراً منها في غيرها، تجم سكر نجيد فصارع «وجم»، أي تنكس ولا تتحرك خوف منه^(٢).

والشرط الثاني وجوه جوب لأوب، و«النصرة» اسم «تنكس». وحيد «يرسول

لله»

١٣٦- وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرٍ مُنْتَصِرٍ بِهِ، وَلَا مِنْ غَدُوٍّ غَيْرٍ مُنْقَصِمٍ

ولن ترى من ولي غير منتصر به على عدوه، ولا ترى من عدو له غير منقضم بالقدح أي منكسر، بل كل ولي به منصر، وكل عدو له منكسر.

و«من» في الموضعين رتبة تنكصيص العموم، و«غير» كذلك بالحر صفة لما قبله على لفظه، وبالنصب صفة له على محله، أو حال منه وإن كان يكرر لوقوعه

(١) يقول إمام الجوري في شرحه ولا يكون النصر برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بدخ سببه، وبرك ما كان على خلاف سريته، وذلك هو نفوى الله، والخس عليها خوف الله ومن خاف الله حذف منه كل شيء، حتى لا في آجامها فمن حصلت له هذه المزية صار قلوب العدا من بامنه، وسلم من أعدائه.

(٢) يشير بذلك إلى قصة سفينة موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسد والذي أورده البير في مسنده، والبيهقي في دلائل النبوة، والطبراني في المعجم الكبير، وحاكمت ابن حجر المصنف في المغني الثانية، واللفظ له بسنده عن محمد بن المنكدر، عن سفيان بن عيينة قال «ركب البحر في سفينة، فكسرت يد الركبت بوح منها فخرجني في جمه، فرب الأسد، فلم يردني إلا به، فقلت يا ابن أختي، أنا سفينة موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال السريدي عنك وصاحب رسة وجعل يعزني بحكبه، ثم مضى معي، حتى أقامني على الطريق، ثم صرمني بيده وهب ساعه، فزيت أنه يودعني وسفينة هز، خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسه «هين» لكر الرسول معاه «سفيان» مد عبه به حيث كان يحسن امتعه «مضى» الله عليه وسلم في السفر

الفصل الثامن: في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

بعد النبي، وسأوه للسببية، ولفصاحة به صلى الله عليه وسلم، كما في حق الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أو لسلته كما في حق غيرهم.

١٣٧ أخذ أمتة في حَزْزٍ مُلْتَمِسٍ — كَاللَّيْثِ حُلٌّ مَعَ الْأَشْيَالِ فِي أَجْمٍ

أخذ أي أربأ أمتة في حَزْزٍ مُلْتَمِسٍ، وهو ما يحفظهم ساند عنهم لها عن
سار الكفر، كاللَّيْثِ أي الأسد، حالة كونه حُلٌّ مَعَ الْأَشْيَالِ، جمع «شَيْبَل»
وهم أولاده، في أَجْمٍ يستحير جمع «أجمة» وهي لعبة، حفظا بها،^(١) عض
يتعرض لها، ولتأي صلى الله عليه وسلم كالأب لأمتة في شفقتة عليهم،
و«كاللَّيْثِ» حال من فاعل «أخذ».

١٣٨ كَمْ جَدَلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ خَدَلٍ فِيهِ، وَكَمْ خَصِمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ

كَمْ جَدَلْتُ — بتثنية الدال أي قطعت كلمات الله وهي القرآن، من جدل
بكسر الدال أي شديد الجدال فيه، أي في النبي صلى الله عليه وسلم، وكَمْ
خَصِمَ^(٢) — بتثنية الصاد البرهان أي الدليل انقطع فيه، من خصم بكسر
الصاد أي شديد الخصام.

و «كم» في الموصعين خبرية بمعنى كثيرا، ومجرور بـ «من» في الموصعين
تمييزا لها.

(١) أي لهدء الأشبال.

(٢) صيغة مبالغة من «خصم» بمعنى غلبه في الخصام.

١٣٩ كفاك بالعلم في الأمي مُعْجَرَة في الجاهلية والتأديب في ايتهم

كفاك ايها الطالب لمُعْجَرَة بالعلم في الأمي وهو من لم يكتب ولا تعلم من معلم - مُعْجَرَة، تعبير للنسبة في «كفى» ويعلق بها، أو يكفى قوله في الجاهلية وهي زمان لا علم فيه، والتأديب بالحز - عطف على «العلم»، في اليتيم يصم التاء لغة في شكوبها - مصدر «يقيم».

وتقدم أن ليتيم من مات أبوه، وهو صغير، والبي صلى الله عليه وسلم مات أبوه قبل ولادته، وقيل بعدها، وترى في كفاية عنه أبي طالب مؤدب، وقد قل صلى الله عليه وسلم: (إن الله أدبني فاحسن تأديبي)^(١)

و«بالعلم» فعل «كفى» بزيادة الباء - وريائها في فعل «كفى» كثير، و«هي الأمي» متعلق ب «العلم» أو حال منه أو صفة له، ويعال بمثل بك «هي ايتهم» مع «التأديب»، و«التأديب» مصدر من المبي للمفعول، يكون صفة لشئ، وترك «مُعْجَرَة» بعد قوله «اليتيم» للعلم بها مث قبل، وأراك بها^(٢) مُجَرَّد الأمر الحازق للعادة، وإن اعنبروا فيها مع ذلك قره بالتحدي، أي دعوى الرسالة مع عدم المعارضة^(٣) من المرسل إليهم.

(١) رواه ابن السمعاني في «أدب الإمام».

(٢) أي بالمعجزة، وقد عرفها الإمام البخاري في شرحه على جوهرة التوحيد بعونه و علم من المعجزة معه محبة من العجز، وهو ضد الفهم، وعرف امر حازق للعادة - معروف بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة.

(٣) المقصود بالمعارضة هذه الإتيان بمثل ما جاء به الرسول.

الفصل التاسع في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

١٤٠ حذفته بمديح أستقيب — دُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخَدَمِ

حذفته أي مدحته صلى الله عليه وسلم بمديح، وهو هذا النظم، وقد
أخلص فيه أسية، أستقيب أي أطلب من الله تعالى أن يُقيلي به أي بسببه،
ذنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخَدَمِ^(١) لأبناء الدنيا بمرح وغيره.

وجملة «استقيب» حاز من داء محضته، و«ذنوب» مفعول «استقيب»

(١٤١) إِذَا قُلْدَانِي — تَخْشَى عَوَاقِبَهُ كَأَنِّي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النِّعَمِ

إذ تغلبت، قلْداني أي الشعر والخدم ما تخشى عواقبه وهو الاتهام،
وعواقبه أنواع العذاب، أي جعله كالقلادة في عُنُقِي، كَأَنِّي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النِّعَمِ، وهي الإنل والنفرة والخدم، ومن شأل الهدى أن يُلْدَ بخلق
شيء في عنقه، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هَدْيٌ، فَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُ، ثُمَّ يَحْرُ.

و«يهم» حال من «هدى» أو من اسم «كأن»، والعمل انشئته، و«من»

سبعين.

(١) في بعضه ويجوز عني يقال «أما لله عزته» صفع عنه ويجازر

(٢) الخدم بكسر الهمزة جمع «خديم» من «خدم يخدم» أي لم يخدمه وكان يخدمه

١٤٢- أطعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ، وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْإِثَامِ وَأَسْذَمَ

أَطَعْتُ غِيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ، أَيِ حَالَتَيِ الشَّعْرِ وَالْحَدَمِ، وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْإِثَامِ مِنْ جَهَنَّمَا، وَالنِّثَمِ عَيْبَمَا، الَّذِي هُوَ تَوْبَةٌ.

وَجُمْلَةُ «أَطَعْتُ» مَفْسُورَةٌ «حَدَبٌ»^١ أَوْ مَسْأَلَةٌ، وَجُمْلَةُ «مَا حَصَلْتُ» مَعْصُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ «أَطَعْتُ».

١٤٣- فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تَجَارَتِهَا — لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَنْصُمْ

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ، فِيهِ مَعْنَى التَّعُجُّبِ^(٢)، أَيِ مَا أَخْصَرَهَا فِي تَجَارَتِهَا، وَهِيَ أَنَّهُ لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا أَيْ لَمْ تَأْخُذْ بِهَا، وَلَمْ تَنْصُمْ^(٣) أَيْ لَمْ تَتَعَرَّضْ لِأَحَدِهِ، بَلْ أَحْدَثَ الدُّنْبَ وَتَرَكَبَ الدِّينَ الَّذِي يَنْجُو بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهِيَ خَسِرَةٌ فِي ذَلِكَ خَسِرَانِ بَيِّنَا، وَكَأَنَّهُ عَنِ نَفْسِهِ يَأْتِيهِ لَشَغَرٌ وَالْحَدَمُ، وَنَدَاءُ الْخَسَارَةِ مَجَازٌ كَمَا لَوْحَتْ لَهُ، أَيِ هَذَا أَوَانُكَ فَاخْصُرِي.

وَهِيَ تَجْرِيدُهَا «مَعْقُودٌ» «خَسِرَةٌ»، وَجُمْلَةُ «لَمْ تَشْتَرِ» صَعَةٌ لَ «نَفْسٍ»، وَالنَّدَاءُ لِلْعَرَضِ كَمَا أُنْشِئَتْ إِلَيْهِ، لِحَوْزِ «شَتْرَيْتَ الْعَرِيسَ بِالنَّفْسِ»

(١) انْفُصَلَ عَنِ الْهَيْئَةِ وَاصْبَحَ سَهْبًا لَا الصَّبَّ وَدَعَا إِلَيْهِ، فَهُوَ رَمَى الْبُحُولَ وَالْبِصَالَةَ

(٢) فِي الْبَيْتِ قَبْلِ السَّابِقِ، رَقْمُ ١٤٠.

(٣) وَالْعَرَبُ مِنْ عَابَهُمْ إِذَا سَعَطُوا شَيْئًا وَتَعَجَّبُوا مِنْهُ، نَادَوْهُ يَخْصُرُ

(٤) مِنْ هَسَامِ السَّلْمَةِ يَسُومُهَا مَوَماً، تَعَرَّضَ لِشَرَاتِهَا

١٤٤- ومن يبيع عاجلاً منه بأجله بين له العتق في بيع وفي سلم

ومن يبيع عاجلاً منه أي من الثمن، بأن يغطي بثمنه أجلاً قد تحضل به، بين أي يظهر له الثمن في بيع وفي سلم، حيث أعطى موعلاً بمو أجل قد لا يحضر له.

وفي نسخة بدل الشطر الأول «ومن يبيع عاجلاً منه بعاجله»، أي ثواباً له في الأجرة المصحفة بأقية، شيء يأخذ من الدنيا الداهية^(١).

١٤٥ إن أب ذنباً فما عهدي بمنقص من الشئ، ولا حيلي بمنصم

إن أت ذنباً، بعد ما مر من نوبتي بأنضم على الشعر والخدم، بأن عتت إليهم، فما عهدي وهو عهد الإيمان بمنقص من الشئ بذلك، لأن بعض الثوبة بارتكاب الذنب لا ينقص عهد الإيمان^(٢)، ولا حيلي أي وصلي بأشئ بمنصم أي منقطع بذلك أيضاً، وإن كان من شأ الذنب قطع المودة.

و «ب» اصله «ألت» مصدر «ألى» أي جاء، فقلب همزته الثانية ألفاً، وجرم من الشرطية وعلامة جرمه حذف باء، والداء في الموصعين رائدة.

(١) يقول الناجري في شرحه وعلى هـ المثال المشهور «به عجة خير من برة حله»، ولم يأت الثواب بذكره صحيح ولا به، أطلق عليه عاجل لأنه كالأصل بالعين، وبه ذ الشئ الذي يأخذه من الدنيا غير محقق أطلق عليه أجل.

(٢) يقول ابن المنذر الأقفيسي في شرحه قال هل انعم لو كانت لأجرة حرف يقي، وأبى جوهراً يعني، لأوجب على المائل أن يحدد الحرف الباقي على جوهراً الثاني، فم صت بمر يحد حرفاً يعني وينترك جوهراً يقي.

(٣) هذا هو عذهب أهل السنة يقول الإمام اللقاني في جوهرة التوحيد ثم للذوب عند قسمان صغيرة، كبيرة، فالثاني منه العتاق واجب في الحال ولا انتقص إن بعد للحصول

١٤٦ فإن لي ذمّة منه بتسميتي ————— مُحَمَّدٌ، وهو أوفى الخلق بالذمم

فإن لي ذمّة أي حوار منه، أي من النبي صلى الله عليه وسلم، بتسميتي
محمّداً أي بمسبها ، واركتب القتب لا يقطع التسمية، وهو أوفى الخلق بالذمم
فيقوم بحققه، بأن يشع في أهلها. و«من» ثلاثه

١٤٧- إن لم يكن في معادي أخذاً بيدي فضلاً، وإلا فقل يا زلة لقدّم

إن لم يكن أي النبي صلى الله عليه وسلم، في معادي أي عودي في
الاحرة للجراء، أخذاً بيدي يشع في فضلاً منه، وإلا، أي وإن لم يكن في معادي
كذلك، فهو بمعنى الشرط الأول تأكيداً له، وجوابهم قوله فقل خطأت لمن جرّده
من نفسه لي: يا زلة القدم، يكني بهذا عن سوء احوال والوقوع في شدة.

١٤٨- حاشاه أن يخرم الرّجى مكارمه أو يرجع الجار منه غير مخترم

حاشاه اسم مصاف بمعنى استريه، أي أدركه شريهاً عن أن يخرم فتح اداء،
أو صمها مع كسر الراء أي يمنع الرّاجي له مكارمه، جمع «مكرمة»، بمعنى

{ } وليس معنى نفاذ الإمام الوصفي وأبيشاره باسمه الذي وافق سيد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذلك نعمي فقد كان علف عملاً وشيخاً فضلاً واهباً مجده مجيباً، ولكنه كبر لا يركن
إلى عمه وجهاده وبعالحن باسمه يبالغون في الطع على ثم يشيرون بعير عمالهم، واهب بحر
الظن في الله ورسوله

يعود الإمام البدوي ووجه ذلك أن حثباره السمية باسمه صلى الله عليه وسلم دليل على محبته
فيه، فإنه لا يسمى بالاسم إلا من حب مماد وفي كلام المصنف بترغيب في السمية باسمه
صلى الله عليه وسلم.

بعض الدلع في سوس ياسيني صلى الله عليه وسلم

شعاعته، أو عن أن يرجع الجار، أي الدحل في جواره، منه أي من النبي صلى الله عليه وسلم غير مُحترَم، بل يرجع مُحترَماً شعاعته فيه، أي وأما راج له، داخل في جواره.

و «لرجي» مفعول «يحرم»، وسكن يؤد على لغة، فاعل «يحرم» النبي صلى الله عليه وسلم، وإن قرئ «يحرم» بسبب للمفعول، فالرجي مرفوع عند عن الفاعل وهو الله تعالى، و «منه» متعلق بـ «يرجع»، أو «يحرم»، و «مر» ثلاثاء، و «غير» حال من «الجار».

١٤٩- وَمُنْذُ أَلَرَمْتُ أَفْكَارِي مَدَانِحُهُ وَجَدْتُهُ لَخْلَاصِي غَيْرُ مُنْتَزِمٍ

وَمُنْذُ أَلَرَمْتُ أَفْكَارِي، جمع «فكر» وهو حركة النفس في استغولات، مدانحه جمع «مديح» وهو كالمذبح، الثناء الحسن، وجدته أي انتهى صلى الله عليه وسلم، لخلاصي مما سعى من مرضى وغيره خور مُلتزم يكسر الراي- أي بأن وفي بخلاصي على أحسن الوجوه.

و «منذ» متعلق بـ «وجدت»، و «افكاري» مفعول أول لـ «ألرمت»، و «مدانحه» مفعوله الثاني.

١٥٠- وَلَنْ يَفُوتَ الْغَنَى مِنْهُ يَدَا تَرَبَّتْ أَنَّ الْحَيَا يُسَبِّتُ الْأَرْهَارَ فِي الْأَكَمِ

وَلَنْ يَفُوتَ الْغَنَى جملة مستأنفة- مِنْهُ يَدَا تَرَبَّتْ أي افتقرت، لغموم الغنى منه لجميع لأيدي المفترقة، ومنه يدي.

إن الحيا أي العطر ، نبتت الأزهار في الأكمل ، جمع «أكمة» وهي الزروة ،
بعموم العطر لها ، مع أنها تملؤها مطنة عدم النبات ، لعدم ثبات انعام عليها ،
فكما لم يفتها مع ذلك النبات ، لم يفت العني من النبي صلى الله عليه وسلم
بدأ لا يطن عنها ، و «منه» صفة للعني أو حال منه ، و «من» رتبة العنية ، و «هي
الأكمل» متعلق ب «نبت» .

١٥١- ولم أرذ زهرة الدنيا التي اقتطفت يد زهير بها أننى على هرم

ولم أرذ يعنى الأيدي منه زهرة الدنيا ، أي مستندتها من المال وغيره ،
التي اقتطفتها ، أي أحنثها ، وهي سحجة بدل «اقتطفت» «اقتطعت» ، يدا زهير
الشاعر الحامي ، بما أننى على هرم - كسر الزاء - أحد أجود العرب^(١) ، وقد
وصلته بصلات كثيرة حرجة عن العادات ، وأما أرذت العني منه في الأجرة
بالشفعة في المنابر .

و «من» متعلق ب «اقتطعت» ، والباء بسببية ، و «من» مصدرية أو موصولة اسمية .

(١) هو زهير بن أبي سمي ربيعة بن رباح المزني (١٣٠٠ ق هـ) حكيم الشعراء في الجاهلية
كان يظم القصيدة في شهر ويحجها ويهذبه في سنة فكانت قصائده تسمى الحويات شهر شعراء
مطرفة التي كانه في مراح هرم بن سنان ، وقصيدة «باب سعاد» التي التمسها بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) هو هرم بن سنان بن أبي حنيفة المري (٩٥ ق هـ) يصرب به المثل في الجود ، وهو
ممدوح زهير بن أبي سمي ، المشهور هو وابن عمه بخارث بن عوف يدعونهم في الإصلاح بين
هينني عيسى وسبيان ، هجلاً بياض الغنى وكان ثلثه آلاف يغير ، أديها في ثلاث سنين مات
هرم قبل الإسلام وهبته لله على عمر بن الخطاب في حلقه ، فقال لها م الذي أعطى ابوك
زهير حتى قابلته عن منيح بما قد سار فيه ؟ فقالت ما أعطى هرم زهيراً قد نسي ، فقال ولكن م
أعطاكم زهير لا ينسى .

الفصل العاشر: في المناجاة

١٥٢ يا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ

يا أَكْرَمَ الرُّسُلِ - يابنِ كَافٍ السَّيْرِ لُحَّةً فِي ضَمِّهَا - وَفِي نُسْخَةٍ «يَا أَكْرَمَ الْحُلُقِ»
أَي عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ غَيْرِهِ، مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ - يَالِدَالِ الْمُعْجَمَةِ - أَي أَلْجَأُ إِلَيْهِ سِوَاكَ
عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِيمِ - يَالْعَبِيِّ الْمُفْهَمَةِ، وَكَشَرِ الْعَمِيمِ لِأُولَى - أَي الشَّامِلِ
لِلْحُلُقِ، وَهُوَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ^(١). وَ«سِوَاكَ» بَدَلٌ مِنْ «مَنْ».

(١) يحير الإمام البوصيري في هذا البيت عن حال الحلق يوم القيامة، كما يشير إلى ذلك حديث
الشفاعة، روى البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع
الأنبياء، بسنده عن معمر بن هلال عن أبيه قال: اجتمع سبعين من أهل البصرة فذهبوا إلى أنس
ابن مالك، وذهبوا معه بثابت [البناني] إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره،
فوقفنا على الصفي فاستأذنا، وأنس لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء
أور، من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء (أخوانك) من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن
حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد بن علي بن محمد قال: (إذا كان يوم القيامة ما ج الناس
بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: أشع لك إلى ربك، فيقول: لميت لها ولكن عليكم بإبراهيم
فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لميت لها ولكن عليكم بموسى فإنه كلم الله، فيأتون موسى
فيقول: لميت لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لميت لها ولكن
عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني فأقول: أألهاء، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويظهرني
محمد أحمد به لا نصبرني الآن فأحمد بذلك المحامد وأخر به ساجدا، فيقول: يا محمد أرفع
رأسك، وأل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمني أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها
من كان في قلبه مثقال شحيرة من إيمان، فأطلق فأفعل، ثم أعوذ فأحمد بذلك المحامد ثم أخرج
له ساجدا، فيقول: يا محمد أرفع رأسك وأل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمني
أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خيط من إيمان فأخرجه، فأطلق
فأفعل، ثم أعوذ فأحمد بذلك المحامد ثم أخرج به ساجدا، فيقول: يا محمد أرفع رأسك وأل يسمع لك
وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمني أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أنس أنس
أنس مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأطلق فأفعل، فلما خرجنا من عند أنس قلت
لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوار في مدبر أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك،
فأنتباه فسلمت عليه فأنس لنا، فقال: له: يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم فر مثل
ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هه، فمتمت به بالحديث فابتهى إلى هذا الموضع، فقال: هه، فقلنا: لم-

١٥٣ ولن يصيق رسول له جاهك بي إذا لكريمُ تعالى باسم مُنتقم

ولن يصيق يا رسول الله جاهك بي، إذا الكريمُ وهو الله تعالى، تحلى^(١) بحاءٍ مهملة- أي اتصف باسم مُنتقم من المذنبين وأنا منهم، فتجود علي بالشفاعة. وجواب «إذا» عند البصريين مُقتَرِ بقَد متخولها، بدلُ عليه ما قبلها، وعند الكوفيين ما قبلها، وفي نسخة بدلُ «إذا» «إذ» فتكون تعليلية، وهي أولى.

١٥٤- فإن من جودك الدنيا وضرتها — ومن علومك علم لوح والقلم

فإن من جودك الذي جاد الله تعالى به عليك الدنيا وضرتها وهي الآخرة، أي خيريهما، ومن خير الدنيا هدايته الناس، ومن خير الآخرة شفاعته فيهم.

وإن من علومك التي علمها الله لك علم اللوح والقلم. يدل إن الله أطلعني على ما كتب القلم في اللوح المحفوظ، وعلى علوم الأولين والآخرين^(٢)، وهذا من جاهه عند الله تعالى، والجاهُ القدرُ والمنزلة.

يُردد على هذا هناك لفظ حثني وهو جميع مد عشرين سنة فلا أدري أسي أم كره أم سكلو . قلنا: يا أبا سعيد فحدثنا، فصحك وقال: خلق الإنسان عجولاً ما دكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم. حثني كما حدثكم به قال (ثم أعود الزبيمة فاجمده بقله المحمدي ثم أخرج له ساجداً يقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وصل تصلي واشمع تشمع، فأقول: يا رب أنت الذي قوس قل لا إله إلا الله، فيقول: وعزني وجلالي وكبريائي وعظمي لأخرج منها من قال لا إله إلا الله).

(١) وفي نسخة «تحلى»، والإمام البوصيري في هذا البيت يشير إلى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورحمته بجميع أفراد أمته يوم القيامة كما يشير إليه حديث الشفاعة الذي أوردها أنها

(٢) كما هو ثابت في حديث المعراج في الصحيحين وغيرهما: (ثم صرح بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام) أي صوب أقدام الملائكة كتبت من اللوح المحفوظ

ويقول الإمام الباقوري صرح النبي: فإن قول إله كان علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم، فما البعض الآخر؟ أجيب بأن البعض الآخر هو ما أخبره الله عنه من أحوال الآخرة، لأن القلم كتبت في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فقط.



الفصل العاشر: في المدح

ومما ورد في سؤاله الشفاعة خير أنس: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة، قال: أنا فاعل^(١).

وبما قررته علم أن «من علومك» معطوف على «من جودك»، وأن «علم اللوح والقلم» معطوف على «التبلي وضربها». ويجوز أن يكون «من علومك» مستأنفاً فيكون خبراً و«علم اللوح» مبتدأ، وكرر «من» لئلا يزم العطف على معمولي عاملين مختلفين، إذ لو قال: «وعلمك علم اللوح والقلم»، لزم عطف مخفوض على مثله، ومقصوب على مثله، في عاملين مختلفين.

١٥٥- يا نفس لا تقنطي من ربة عظمت إن الكبائر في الغفران كاللحم

يا نفس -بضم السين ويكسرهما- والأصل يا نفسي، لا تقنطي -بضم النون أو كسرهما على لغة فتح في ماصيه، وفتحها على لغة كسرهما في ماصيه أي لا تيأسي من عفو ربة أي ديب، عظمت أي كبرت. إن الكبائر في الغفران كاللحم، وهو صغار الذنوب، فيجوز العفو عنها، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يُشْرِكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ»^(٢).

و«من» للنسبة إن قدر عفو كم سلكته، وسنخليل إن لم يفت، و«هي الغفران» متعلق بـ «كاللحم».

(١) رواد الترمذي وصححه: سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم، باب مجيء في شأن الصراط، ورواه أيضا الإمام أحمد في مسنده

(٢) سورة النساء - من الآية ٤٨

١٥٦- لَعَلَّ رَحْمَةً رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا قَاتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسْمِ

لَعَلَّ رَحْمَةً رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ، تَلْتِي عَلَى حَسَبِ أَيِّ قَدْرِ الْعِصْيَانِ، الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، فِي الْقِسْمِ جَمْعُ «قِسْمَةٍ» بِمَعْنَى قِسْمٍ، وَ«لَعَلَّ» حَرْفُ تَرْجِيٍّ عَمَمٍ الرَّحْمَةُ لِلْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، وَفِي خَبَرِ الصَّحَابِيِّينَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِنْدِي^(١).

و«حِينَ» و«عَلَى» و«هِيَ» مُتَعَلِّقَاتٌ بِ«تَلْتِي»، وَيُحْوِزُ تَطْلُقُ «فِي» بِ«حَسَبِ».

١٥٧- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ

يَا رَبِّ هِيَ مَا مَرَّ فِي «بِ نَفْسٍ»^(١) ارْحَمْنِي وَاجْعَلْ رَجَائِي لِلرَّحْمَةِ غَيْرَ مُنْعَكِسٍ أَيِ خَائِبٍ لَدَيْكَ، أَيِ عِنْدَكَ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِ«اجْعَلْ» أَوْ بِ«مُنْعَكِسٍ» وَاجْعَلْ حِسَابِي أَيِ مَا حَسَنَتُهُ وَقُدْرَتُهُ مِنَ الْعَفْوِ غَيْرَ مُنْخَرِمٍ، أَيِ غَيْرِ مُنْقَطِعٍ عِنْدَكَ، بَأَنَ يَخْضُلَ الْمَرْجُوُّ وَالْمُخْصُوبُ مِنْ عَفْوِ ذُنُوبِي كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى «وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ»، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدَعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْثَارِ، بَابُ الذِّكْرِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، بِمُسْنَدَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (أَنْكَرَ عَدُوِّي عِنْدِي بِي أَنَا مَعَهُ إِنَّا ذَكَرْنِي، فَبِنِ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرَ مَعَهُمْ، وَإِنْ تَعَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَعَرَّبَتْ إِلَيْهِ تَرَاغَا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ تَرَاغَا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ يَاعَا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً)

وَمِنْ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَا أَوْرَدَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِمُسْنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَأَنْتَوِيَاءُ وَأَنْتَوِيَاءُ، هَالِكُ هَذَا الْقَوْمِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قُلْ: اَللّهُمَّ مَغْفِرَتِكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي وَرَحْمَتِكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنَ عَافِي). وَصَنِّيعُ الْإِمَامِ الْيَرْصُورِيِّ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَنْتَدِجُ تَحْتَ هَذَا الْبَابِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَالْأَوَّلِيَاءِ الصَّالِحِينَ، تَلَبَّاهُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعَهَا لِنَفْسِهِ وَاعْتِرَافًا بِتَقْصِيرِهِ.

(٢) الْبَيْتُ قَبْلَ السَّابِقِ، رَقْمُ ١٥٥.

١٥٨ وَالطُّفُّ بِعَيْنِكَ فِي لَدَارَيْنِ، إِنَّ لَهُ صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمُ

والطُّفُّ أي «ورقق» - كما في نسخة - بعينك، يريد نفسه، في الدارين أي الدنيا والآخرة، فيما قُدِّرَ عليه فيهما من المؤلِّماتِ بتخفيفها.

إِنَّ لَهُ صَبْرًا عَلَى مَا يُصِيبُهُ فِيهِمَا، لَكِنْ مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ أَي تَطْلُبُهُ، وَهِيَ الْأُمُورُ الْمَخُوفَةُ^(١) يَنْهَزِمُ صَبْرُهُ وَلَا يَثْبُتُ، فَيَهْلِكُ هُوَ، وَبِالطُّفِّ يَنْدَفِعُ لِهَلَاكِهِ، وَيَبْدَأُ لِمَطْلُوبَةِ الرَّفْقِ^(٢) حَيْرُ الْبَحَارِيِّ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ^(٣).

١٥٩ وَأَذَنْ لِسُخْبٍ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ يَمْهَلُ وَمُنْسَجَمٍ

١٦٠ - مَا زِلْتِ عَذَابَاتِ الْبَاقِ رِيحٌ صَبَاً وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّفَمِ

وَأَذَنْ أَي أُنْحَ، لِمُنْخَبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ مُحْمَدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْهَلُ، أَي يَمْطَرُ شَدِيدًا، وَمُنْسَجَمٍ أَي مَطَرٍ غَيْرِ شَدِيدٍ. وَالْمُنْخَبُ - يَنْسُكِرُ الْحَاءُ نَحْوَ فِي صَمَاءٍ حَمُوعٍ «صَحَابٍ»، وَهُوَ الْعَيْمُ، وَالْمُ «لِسُخْبٍ» لِلتَّعْدِيَةِ، وَ«سُك» - نَمَّةٌ «صِفَاتُ لَ «صَلَاةٍ»، وَجَوْرُ جَعَلُ «دَائِمَةٍ» صِفَةُ لَ «سُخْبٍ»، وَ«يَمْهَلُ» مُنْعَلَقٌ بِـ «أَسْ»، فَيَاوُهُ لِلتَّعْدِيَةِ، وَقِيلَ صِفَةُ بِـ «سُخْبٍ» فَيَاوُهُ لِلْمَصَاحِبَةِ، وَيَنْعَلِقُ بِـ «ذَنْ» أَنْصَبَ

(١) مخوف: معروف من الخوف، بمعنى مخيف

(٢) بدعبار اللفظ في النسخة التي جاء فيها: «ورقق بعينك في الدارين»، وباعتبار المعنى في النسخة التي اعتمدها الشرح، والتي فيها «والطف بعينك... الخ».

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأكل - باب الرفق في الأمر كله.

(٤) يقال «أذنت له بكذا» أي أطلقته بفعله.

ما رَحَّتْ - بنونٍ وحاءٍ مُهْمَلَةٍ - أي مَوَّلَتْ، و«ما» مضمرية ظرفية، عَذَبَاتِ
الْبَيَانِ - بِذالٍ مُعْجَمَةٍ - أي أَغْصَانُهُ رِيحٌ صَبَاءٌ، وهي التي تأتي من المَشْرِيقِ
صَوْبَ بَابِ الكُفَّةِ فَكَأَنَّهَا تَصْبُو إِلَيْهَا، أي تَمِيلُ، وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ وهي من كِرَامِ
الْإِبِلِ، بِيضٌ يُخَالِطُهَا شُفْرَةٌ - وَأَصْلُ عَيْنِ الضَّمِّ، كُسِرَتْ لِسُكُونِ الْوَاءِ بَعْدَهَا وَمُفْرَدَةُ
«أَعْيَسٌ» لِلذِّكْرِ، وَيُقَالُ لِلْأُنْثَى «عَيْسَاءٌ» - حَادِي الْعَيْسِ وَهُمْ أَصْحَابُ الْإِبِلِ فِي
السَّفَرِ بِالنَّعَمِ - يَفْتَحُ النُّونَ - أي بِالصَّوْتِ الْحَسَنِ.

و«حادي» فاعل «أطرب»، من «حذا يحذو حذوا» وهو سوق الإبل والغناء
لها فَطَرَبَ، وَالطَّرَبُ خِفَّةٌ تَنْشَأُ عَنْ سُرُورٍ، مُقْتَضِيَةٌ لِلهَزَّةِ وَالْحَرَكَةِ^(١).

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ شَبَّهَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي يُطَلَّبُ
عُمُومُهَا فِي الْأَوْقَاتِ بِالسُّخْبِ الَّتِي تَعُمُّ الْأَفَاقَ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَأْتِنَ لَهَا أَنْ تَكُونَ
عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاةٍ، مُدَّةَ التَّرْنِيحِ وَالْإِطْرَابِ، فَمَا ذَكَرَهُ مِنْ
أَنْ لِلصَّلَاةِ الْمَذْكُورَةِ سُخْبًا وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى إِمْطَارَهَا مُدَّةَ مَا ذَكَرَ، مِنْ تَخَيُّلاتِ
الشُّعْرَاءِ.

وَحَكِي عَنْهُ رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: حَصَلَ لِي خَلْطٌ فَالِجٌ^(٢) أَبْطَلَ
نَاصِفِي، فَأَنْشَأْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَنَمَتُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَسَحَ
بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ عَلَيَّ، فَعُوفِيْتُ مِنْ وَقْتِي، وَخَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَلَقِينِي بَعْضُ
الْفُقَرَاءِ، وَسَأَلَنِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمْتُ بِهَا أَحَدًا، وَقَالَ لِي: سَمِعْتُهَا
الْبَارِحَةَ تَنْشُدُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَتَمَائِلُ تَمَائِلَ الْقَضِيبِ،
فَأَعْطَيْتُهَا لَهُ، فَاسْتَهَزَتْ حَتَّى صَارَتْ يُتَبَرَّكُ بِهَا. قَالَ: وَرَأَى فُلَانٌ فِي النَّوْمِ

(١) من ذلك ما أورده البخاري ومسلم وغيرهما أن رجلا يقال له أنجشة كان يسوق بأمهات المؤمنين
ويحذو للإبل أثناء سيره، فكان إذا حذا أعطت الإبل، أي أسرع، فقال له صلى الله عليه وسلم:
«أرقيق يا أنجشة وبحك بالقرارير».

(٢) الفالَج: ثعلب يصيب أحد شقي الجسم، وهو المسمى في الطب الحديث بالشلل النصفي.

-وقد أشرف على العمى- قائلاً يقول له: اجعل البردة على عينيك تفق، فحصلها وجعلها على عينيه، وقرئت عليه فغوى لوقتته.

وكان الناظم أشار بالعذبات إلى عتبة النبي صلى الله عليه وسلم لتمامها بتمامه عند سماعه المدح، وبالبيان إلى ذاته لطيب رائحتها، كطيب رائحة ما يستخرج من البان، وبالعيس إلى أمته لطربهم عند سماعهم ما نكروا كطرب العيس المستلزم لسرعة سيرها عند سماع صوت حانيها، والله أعلم.

تم شرح البردة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري
بحمد الله تعالى وعونه.

فهرس الكتاب

مقدمة الناشر	٥
١- سلمة «تراث الأزهرين»	٥
٢- التعريف بشارح البردة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري	١٣
٣- التعريف بناظم البردة الإمام شرف الدين البوصيري	٢٣
٤- تقديم الكتاب بقلم الدكتور عطية مصطفى	٢٨
البردة وفن الخط العربي	٤١
متن قصيدة الكواكب النيرة في مدح خير البرية	١٠٥
الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة	١٢٧
الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام	١٢٩
الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس	١٣٦
الفصل الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم	١٤٥
الفصل الرابع: في مولده عليه الصلاة والسلام	١٦٥
الفصل الخامس: في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم	١٧٣
الفصل السادس: في شرف القرآن	١٨٦
الفصل السابع: في إسرائه ومعاجزه صلى الله عليه وسلم	١٩٥
الفصل الثامن: في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم	٢٠٤
الفصل التاسع: في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم	٢١٧
الفصل العاشر: في المناجاة	٢٢٣

هذا الكتاب

لم يشتهر أحد في مجال مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم، مثلما اشتهر الإمام البوصري صاحب الردة الشهيرة التي فاقت شهرتها شهرة صاحبها، والتي تعتبر من الغرائد في مدحه صلى الله عليه وسلم. وقد اشتملت «الردة» على جمل من صفاته ومعجزاته وسيرته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم، فكان لها عظيم الأثر في تعريف جماهير المسلمين بسيرة صلى الله عليه وسلم وشماله، وحرص لذلك علماء الأمة على شرحها وبيان معانيها. وفي هذا الشرح الممتع للقصيدة، حرص شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري الشافعي الأزهري على بيان ما في أبيات الردة من براعة لغوية، وعلى التأصيل الشرعي لما اشتملت عليه من معان، فجاء شرحه -على اختصاره- حاوياً للعديد من الإشارات النحوية والبلاغية، والكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء.

اقرأ في هذه السلسلة أيضاً



مكتبة
كشيدة
خير جليس في الزمان كتاب